اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ عَشَرَ

1 أَحْبَبْتُ لأَنَّ الرَّبَّ يَسْمَعُ صَوْتِي تَضَرُّعَاتِي. 2لأَنَّهُ أَمَالَ أُذْنَهُ إِلَيَّ فَأَدْعُوهُ مُدَّةَ حَيَاتِي. 3اِكْتَنَفَتْنِي
حِبَالُ الْمَوْتِ. أَصَابَتْنِي شَدَائِدُ الْهَاوِيَةِ. كَابَدْتُ ضِيقاً وَحُزْناً. 4وَبِاسْمِ الرَّبِّ دَعَوْتُ: «آهِ يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي».
5الرَّبُّ حَنَّانٌ وَصِدِّيقٌ، وَإِلَهُنَا رَحِيمٌ. 6الرَّبُّ حَافِظُ الْبُسَطَاءِ. تَذَلَّلْتُ فَخَلَّصَنِي. 7ارْجِعِي يَا نَفْسِي إِلَى رَاحَتِكِ،
لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكِ. 8لأَنَّكَ أَنْقَذْتَ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ، وَعَيْنِي مِنَ الدَّمْعَةِ، وَرِجْلَيَّ مِنَ الزَّلَقِ. 9أَسْلُكُ قُدَّامَ
الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ.

10آمَنْتُ لِذَلِكَ تَكَلَّمْتُ. أَنَا تَذَلَّلْتُ جِدّاً. 11أَنَا قُلْتُ فِي حَيْرَتِي: «كُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبٌ». 12مَاذَا أَرُدُّ لِلرَّبِّ
مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي؟ 13كَأْسَ الْخَلاَصِ أَتَنَاوَلُ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو. 14أُوفِي نُذُورِي لِلرَّبِّ مُقَابِلَ كُلِّ
شَعْبِهِ.

15عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ. 16آهِ يَا رَبُّ. لأَنِّي عَبْدُكَ. أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ أَمَتِكَ. حَلَلْتَ قُيُودِي.
17فَلَكَ أَذْبَحُ ذَبِيحَةَ حَمْدٍ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو. 18أُوفِي نُذُورِي لِلرَّبِّ مُقَابِلَ شَعْبِهِ، 19فِي دِيَارِ بَيْتِ الرَّبِّ، فِي
وَسَطِكِ يَا أُورُشَلِيمُ. هَلِّلُويَا!

ماذا أردُّ للرب؟

كُتبت مزامير «التهليل المصري» (113-118) تسبيحاً لله على خلاص الأمة، والحديث فيها بصيغة الجمع، لأن الرب خلَّص شعبه كجماعة من سوء عذاب فرعون. ويقف مزمورنا وسط مجموعة «التهليل المصري» يتحدَّث عن خلاص الفرد، الذي لا يضيع الاهتمام به وسط الاهتمام بالجماعة، فخلاص الله عامٌ وشامل، لكنه في الوقت نفسه اختبار فرديٌّ وشخصي، فيه يصلي المؤمن بصيغة المفرد صلاة الشكر في عيد الفصح، لأن الملاك المُهلك عبر ببيته ولم يقتله، لأن دم حَمَل الفصح كان يغطي عتبة الباب العليا وقائمتيه. ولعل المرنم ذكر مرضاً شديداً أصابه كابد منه ضيقاً وحزناً، شفاه الرب منه ومسح دموع عينيه، وخلَّصه من الانزلاق إلى القبر. واختبار المرنم هنا يشبه اختبار الملك حزقيا عندما قال له النبي إشعياء (بناءً على أمر الرب): «أوصِ بيتك لأنك تموت». فصلى طالباً الشفاء، فاستجاب الله له وعبر الموت عنه، وأعطاه علامة هي أن ترجع الشمس عشر درجات في درجات السُّلَّم التي نزلتها، فصار يومه أطول من سائر الأيام (إش 38: 1-8).

وفي مزمورنا يشكر المرنم الرب ويتساءل: ماذا يفعل ليردَّ على فضل الرب الذي أحسن إليه؟ ويجاوب أنه سيتناول كأس الخلاص، ويدعو باسم الرب، ويوفي نذوره للرب مقابل كل الشعب. لقد استجاب الله صلاته ونجّاه، فجاء إلى الهيكل وسط المصلّين ليحدِّث بنعمة ربه، كما فعل مريض كورة الجدريين الذي قال المسيح له: «اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر 5: 19).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - المرنم يدعو الرب (آيات 1-4)

ثانياً - الرب يستجيب المرنم (آيات 5-9)

ثالثاً - المرنم يشكر الرب (آيات 10-19)

أولاً - المرنم يدعو الرب

(آيات 1-4)

1 - المرنم يحب الصلاة: «أحببتُ لأن الرب يسمع صوت تضرُّعاتي» (آية 1). ربما قصد أنه يحب الرب الذي يستجيب له، فقد قال له: «أحبُّك يا رب يا قوَّتي» (مز 18: 1)، وقال الرسول يوحنا: «نحن نحبُّه لأنه هو أحبنا أولاً» (1يو 4: 19). والله محبة، وكل أعماله محبة، وهو القائل: «محبةً أبدية أحببتُك، من أجل ذلك أدمْتُ لك الرحمة» (إر 31: 3). أو ربما قصد المرنم أنه يحب أن الرب يسمع صلاته. والحقيقة هي أن الآية تحتمل المعنيين معاً، فالمرنم يحب أن الرب يسمع صلاته، لأنه يتضرع إليه، وهو يحب الرب فيوجِّه صلاته إليه وينتظر الاستجابة. فلو لم يكن يحب الرب ما دعاه، ولو لم يكن يثق فيه ما كلَّمه.

2 - المرنم يستمر في الصلاة: «لأنه أمال أذنه إليَّ، فأدعوه مدة حياتي» (آية 2). استجابة الصلاة تدفع إلى مزيدٍ من الصلاة. ولقد أمال الرب أذنه في رفقٍ وحنان على المرنم، فعزم أن يستمر في الصلاة مدة حياته كلها، وهو يقول: «مباركٌ الرب لأنه سمع

صوت تضرُّعي.. خلِّص شعبك وبارِك ميراثك وارْعهم واحملهم إلى الأبد» (مز 28: 6، 9). ويفرح المرنم ليس فقط باستجابة الصلاة، بل بالأُنس بالله، فهو في الصلاة يكلّم حبيبه. بعضنا يكلمه وقت الاحتياج فقط، وهو يسمع لهم، لأنه يقول: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز 50: 15). لكن هناك من يتمتعون بالحديث الدائم مع الله.

وقد يتجرَّب بعض المصلّين بالتوقُّف عن الصلاة لأن الرب (بحسب فكرهم) تأخَّر عليهم في الاستجابة، أو يظنون أنه لا يستجيب، فيقولون: صلّينا ولم يسمع، فلن نستمر في الصلاة حتى يعطي ما سبق أن طلبناه. لكن المؤمن يعرف أن الرب يستجيب دوماً. قد يعطي ما نطلبه، وقد يؤجل العطاء لوقت أفضل، وقد يمنع عنا ما نطلبه لأنه في غير صالحنا وقد يؤذينا. قال المسيح: «ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً، وهو متمهِّلٌ عليهم (من وجهة نظرهم). أقول لكم: إنه ينصفهم سريعاً (وهو الأمر الواقع)» (لو 18: 7، 8). ولكي نطمئن يستخدم الوحي تعبيراً إنسانياً فيقول عن الصلاة إن الله «أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتّقوا الرب، وللمفكّرين في اسمه» (مل 3: 16). فلنستمر مصلّين لنتمتع بالرب نفسه قبل أن نتمتع بعطاياه.

3 - الدافع على الصلاة: «اكتنفتني حبال الموت. أصابتني شدائد الهاوية. كابدتُ ضيقاً وحزناً. وباسم الرب دعوتُ: آهِ يا رب نجِّ نفسي» (آيتا 3، 4). وجد المرنم نفسه مدفوعاً للصلاة للإله المحب المستجيب، وهو يعاني من مرض شديد كاد يُنهي حياته، وكأن الموت ربطه بحبال يسحبه بها إلى القبر، فامتلأت نفسه ضيقاً وحزناً لأنه رأى الموت والقبر كصيّادين ينصبان له الشِّباك والمشانق. لم يكن المرنم يعرف المسيح الذي أبطل الموت، وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (2تي 1: 10)، لكن إيمانه القوي جعله في ضيقه هذا يلتجئ إلى الرب داعياً، لأنه قال: «أنا الرب شافيك» (خر 15: 26). والرب يشفي بطريقته الخاصة، بحسب استحسان محبته، وبما هو أفضل للمؤمن.. قد يستجيب ويشفي باستعمال الدواء، كما شفى الملك حزقيا بالوصفة الطبية التي قدَّمها له النبي إشعياء (2مل 20: 1، 7). وقد يستجيب ويشفي بمعجزة إلهية، فهو الرب الذي لم يتغيَّر والذي يسدِّد أعوازنا التي لا تتوقَّف. وقد يستجيب دون أن يشفي بأن يشدِّد المؤمن في مرضه بنعمة تكفيه، كما قال للرسول بولس بعد أن صلى ثلاث مرات لترتفع عنه شوكة مرضه: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (2كو 12: 9). وقد يستجيب الرب بأن يستلم وديعة المريض وينقله من عالم الآلام ويُدخلَه المجد السماوي، ويعطيه في اليوم الأخير الجسد المجيد.

يستجيب الرب دوماً صلاة المتضايق، فهو ملجأ المؤمن الذي يدعوه فينجّيه من الضيق والحزن. «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار» (مز 46: 1، 2)، لذلك كرر المرنم دعاءه في هذا المزمور أربع مرات بقوله: «أدعوه مدة حياتي.. باسم الرب دعوتُ.. باسم الرب أدعو.. باسم الرب أدعو» (آيات 2، 4، 13، 17). ولا عجب، فإلى من نذهب إلا لصاحب المحبة والسلطان؟ مَن يشفق ويُنعِم إنعامات سامية إلا هو؟.. حياتنا الجسدية والروحية هما عطيته، فهو الملجأ الوحيد. حقاً «نظروا إليه واستناروا، ووجوههم لم تخجل» (مز 34: 5).

ثانياً - الرب يستجيب المرنم
(آيات 5-9)

1- لأن الرب حنّان: «الرب حنان وصدّيق، وإلهنا رحيم» (آية 5). فهو يستجيب لأنه يشفق على المتعَبين. وهو يستجيب بالرغم من عدم استحقاق الإنسان، لأنه صدِّيق عطوف منعمٌ أمين لمواعيده بالاستجابة. «الرب إلهٌ رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء» (خر 34: 6). «صنع ذِكراً لعجائبه. حنّان ورحيم هو الرب» (مز 111: 4). ومن فرط حنانه يقول: «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم» (مت 7: 7).

2- لأن المرنم ضعيف: «الرب حافظ البسطاء. تذلَّلتُ فخلَّصني» (آية 6). يحس المرنم أمام مرضه وفي مواجهة المخاطر المحيطة به أنه بسيط، يحتاج إلى الحكمة والخبرة، وهو يعلم أن «شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً» (مز 19: 7)، ويثق أن ربَّ السماء والأرض قد أخفى الحكمة عن الذين يظنون أنهم الحكماء الفهماء، وأنه يعلنها للبسطاء الذين يشبهون الأولاد في استعدادهم للتصديق والتعلُّم (مت 11: 25)، وأنه يدعو البسطاء والمزدرَى وغير الموجود ليمنحهم نعمته (1كو 1: 27-29).. وفي بساطته وذلِّه لا يقدر أن يعاون نفسه، فيطلب من الرب أن يخلِّصه، ويصرخ مع الملك حزقيا وقت أن هدَّده ربشاقَى: «يا رب، قد تضايقت. كُن لي ضامناً.. الرب لخلاصي، فنعزف بأوتارنا كل أيام حياتنا في بيت الرب» (إش 38: 14، 20).

3- لأن المرنم ينتظر: «ارجعي يا نفسي إلى راحتك لأن الرب قد أحسن إليك، لأنك أنقذتَ نفسي من الموت، وعيني من الدمعة، ورجليَّ من الزلَق. أسلك قدام الرب في أرض الأحياء» (آيات 7-9). ينتظر المرنم أن ترجع نفسه إلى الراحة التي كانت فيها قبل أن تداهمه المصائب وتكتنفه حبال الموت وتصيبه شدائد الهاوية، فيطلب من نفسه أن تهجر القلق وتطمئن. كان المرنم قد سأل نفسه: «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» (مز 42: 5)، وقال لها:

«باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز 103: 1، 2). وطالب نفسه في مزموري 42 و103 أن ترجو الله، وأن تشكره، وفي مزمورنا يطالبها أن تستريح في الله، لأنه أحسن إليه، فيقول: «أغنّي للرب لأنه أحسن إليَّ» (مز 13: 6).

والكلمة «راحتك» في الأصل العبري للمزمور جاءت في صيغة الجمع، فيكون المعنى أن الرب أحسن إلى المرنم وأراحه من جميع الجهات، كما قال سليمان: «والآن فقد أراحني الرب إلهي من كل الجهات، فلا يوجد خصمٌ ولا حادثة شر» (1مل 5: 4).. معروف أن معنى اسم «نوح» راحة، وقد أراح الله نوحاً في الفلك. وأما راحتنا نحن فهي في المسيح فُلك نجاتنا الذي فيه نخلُص، فقد قال: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 11: 28)، وبفدائه الذي يغفر جميع الذنوب نستريح من عذاب الضمير، وبتقديس روحه القدوس ننجو مِن سطوة الخطية لأنه ينصرنا عليها، وبعطائه السخي نتخلَّص من القلق لأنه إله العناية، فنقول: «كحزانى ونحن دائماً فرحون. كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء» (2كو 6: 10).

ويرجع انتظار المرنم للراحة إلى اختباراته الماضية العظيمة مع الرب، فقد سبق أن أنقذ نفسه من الموت الجسدي ومن موت الخطية، كما أنقذ عينه من الدموع ورجله من الزَّلق، كما سبق وقيل: «أصعدني من جب الهلاك من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ. ثبَّت خطواتي» (مز 40: 2). إنه خالقه الذي نفخ في التراب فصار آدم نفساً حية (تك 2: 7) وهو الذي يحفظ هذه الحياة، فيقول المرنم: «أوفي ذبائح شكرٍ لك، لأنك نجَّيت نفسي من الموت، ورجليَّ من الزلق، لكي أسير قدام الله في نور الأحياء» (مز 56: 13). هو الذي يعزي الحزين ويمسح دموع المتألم، وهو الذي يفدي حياته من الحفرة (مز 103: 4)، فيحيا ويسلك قدام الرب في أرض الأحياء، في نور شريعة الرب ونور شخصه، متمتعاً بعنايته، مثبتاً النظر عليه، فرحاناً به، مطمئناً إليه، في سلام داخلي وخارجي. وسيأتي اليوم الذي فيه «يمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخٌ ولا وجعٌ في ما بعد» (رؤ 21: 4).

ثالثاً - المرنم يشكر الرب
(آيات 10-19)

1- حيرة سبقت الشكر: (آيتا 10، 11). في هاتين الآيتين يعلن المرنم إيمانه بالرغم من حيرته أمام مشكلتين، هما تذلّله، وكذب المحيطين به. ولكنه بالرغم منهما لا يزال المؤمن الشاكر.

(أ) حيرة من الذل: «آمنتُ لذلك تكلمت. أنا تذللتُ جداً» (آية 10). كان المرنم واثقاً أن الرب سينجيه من مصاعبه مهما كثُرت ومهما طالت مدتها، فيرفع آيات الشكر له. ولو لم يكن متمسكاً بإيمانه لما تكلم، فقد بقي إيمانه قوياً ثابتاً وسط كل الظروف القاسية. وهو صادقٌ في تعبيره عن واقع حياته وعن حقيقة نفسه. قال الرسول بولس: «فإذ لنا روح الإيمان عينه، حسب المكتوب: آمنتُ لذلك تكلمت، نحن أيضاً نؤمن، ولذلك نتكلم أيضاً» (2كو 4: 13) «لأنه من فضلة القلب يتكلم الفم» (مت 12: 34). صحيحٌ أن المرنم في ذل، لكن إيمانه يقول له إن الرب سينجيه فيرى النور في أرض الأحياء، وسيُرجِع الرب نفسه إلى راحتها السابقة، ويُحسن إليه وينقذه من الموت، ويمسح دموعه «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصتَ، لأن القلب يؤمَن به للبر، والفم يُعترَف به للخلاص، لأن الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يُخزَى» (رو 10: 9-11).

(ب) حيرة من الكاذبين: «أنا قلت في حيرتي كل إنسان كاذب» (آية 11). لا بد أن أصدقاء المرنم وعدوه أثناء ضيقته بمساعدات كثيرة، ولكنهم لم يقدموها له، ربما لأنهم عجزوا، أو لأنهم لم يريدوا.. كانوا كأصحاب أيوب الذين قسوا عليه في تجاربه الأليمة، فقال لهم: «معزّون مُتعِبون كلكم» (أي 16: 2)، أو ربما كانوا كأصحاب الابن الضال الذين تجمَّعوا حوله وهتفوا له يوم كان يملك المال، لكنهم انفضّوا عنه لما افتقر، فلم يجد إلا واحداً أرسله إلى حقوله ليرعى الخنازير (لو 15: 15). وقد سبق أن تحيَّر المرنم من أصحابه وقال: «أعطِنا عوناً في الضيق، فباطلٌ هو خلاص الإنسان.. إنما باطلٌ بني آدم. كذبٌ بنو البشر. في الموازين هم إلى فوق. هم من باطل أجمعون» (مز 60: 11 و62: 9). ولا بد أن ثقة المرنم في أصحابه عادت إليه، فلا يمكن أن يكون كل إنسانٍ كاذباً، ولا بد أن ضيقة نفسه جعلته يصدر حكماً عاماً على كل المحيطين به. وما أكثر ما نتكل على وعود أصدقائنا وأقاربنا فيخيِّبون أملنا، فندرك أهمية وصية المرنم: «لا تتَّكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره. طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه على الرب إلهه» (مز 146: 3-5).

2 - تساؤل سبَق الشكر: (آيات 12-14).

(أ) التساؤل: «ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لي؟» (آية 12). لا بد أن التقي يفكر في التعبير عن مشاعر شكره لله المحسن الكريم، وهو يسأل سؤال العاجز عن الوفاء بدَيْنٍ عظيم، لأن لسان حاله يقول: «صغيرٌ أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعتَ إلى عبدك» (تك 32: 10). وكلما تمتعنا بحسنات الرب يجب أن نسأل هذا السؤال.

(ب) الردّ على التساؤل: (آيتا 13، 14).

(1) تناول كأس الخلاص: «كأس الخلاص أتناول» (آية 13أ). يشبِّه المرنم خلاص الله بكأس مليء بالمشروب المبهج المروي يقدِّمه الرب إليه، وهو يردّ على الرب بأن يقبله ويشربه، ويقول: «كأسي ريا» (مز 23: 5). ما أكثر الذين يظنون أنهم مرتوون وفي غير حاجة لكأس الخلاص، وكأنهم يقولون مع الفريسي: «اللهم، أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس.. أصوم مرتين في الأسبوع وأعشِّر كل ما أقتنيه» (لو 18: 11، 12)، أو يقولون مع الذي قال إنه غني، وقد استغنى، ولا حاجة له إلى شيء، وهو لا يعلم أنه شقي وبائس وفقير وأعمى وعريان، ينصحه الرب أن يشتري منه ذهباً مصفًّى بالنار ليستغني، وثياباً بيضاً ليلبس ويستر نفسه (رؤ 3: 17، 18)، وقد يتكلون على مستواهم الاجتماعي الرفيع، أو على مكانتهم العائلية أو الشخصية المتميزة في الكنيسة. لكن بالرغم من كل شيء يوجد احتياج لتناول كأس الخلاص من يد الله كل يوم، فللخلاص ثلاث خطوات: الخلاص من ماضينا بالغفران، وفي حاضرنا الذي يستغرق العمر كله بالتقديس، وفي مستقبلنا عندما تنتهي الحياة على الأرض بالتمجيد مع الله في السماء. فإن لم تكن قد أخذتَ الخلاص بمعنى الغفران بالتوبة والثقة في عمل المسيح الكفاري من أجلك على الصليب، فتناوله الآن.

(2) الدعاء باسم الرب: «وباسم الرب أدعو» (آية 13ب). وفي هذا الدعاء المستمر يعلن المرنم أن الرب وحده هو الذي يستحق الشكر. «أخبر باسمك إخوتي. وسط الكنيسة أسبِّحك» (عب 2: 12). لقد دعا باسم الرب لينجيه (آية 4)، ووعد أن يدعو باسمه شاكراً (آية 17)، فتكون كل حياته دعاءً للرب، كما قال المرنم: «أما أنا فصلاة» (مز 109: 4).

(3) وفاء النذر: «أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه» (آية 14). النذر هو التعهُّد بعمل شيء ما في حالة تحقيق طلب ما، كما نذر الملك حزقيا أن يصعد إلى بيت الرب إن منحه الشفاء (2مل 20: 8). ونجد شريعة النذور في العدد 6: 2–21. ونحن نتعهَّد للرب عهوداً كثيرة في بداية العام، أو عند استجابة صلواتنا. وعلينا أن نكون أمناء في ما نتعهد به للرب، فنوفي له النذر.

3 - سببان للشكر: (آيتا 15، 16).

(أ) التقي عزيز: «عزيزٌ في عيني الرب موت أتقيائه» (آية 15). يهتم الرب بحياة الأتقياء كما يهتم بموتهم، ويحدد يوم ميلادهم ويوم وفاتهم، فإن «الله لنا إله خلاص، وعند الرب السيد للموت مخارج» (مز 68: 20)، «من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويكرم دمهم في عينيه» (مز 72: 14). ولكلمة «عزيز» في الكتاب المقدس ثلاثة معانٍ على الأقل:

(1) العزيز مكرَّم: يقول الرب لشعبه: «إذ صرتَ عزيزاً في عينيَّ، مكرَّماً، وأنا قد أحببتُك» (إش 43: 4). بسبب هذه الكرامة نقل الرب أخنوخ إلى السماء بدون موت ورفعه إلى درجة أعلى (تك 5: 24 وعب 11: 5)، وقال الرسول بولس: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً» (في 1: 23)، لأن المسيح وعد أتقياءه: «أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو 14: 2، 3). ومع أن المسيح أكمل عمل الفداء وجلس عن يمين العظمة في الأعالي (عب 1: 3)، إلا أن استفانوس الشهيد المسيحي الأول رآه «قائماً عن يمين العظمة» (أع 7: 56) ليستقبله شهيداً مكرَّماً.

(2) العزيز مُسِر: قال الرب عن شعبه (ويدعوه هنا أفرايم): «أفرايم ابنٌ عزيز لديَّ، ولَدٌ مُسِرٌ» (إر 31: 20)، ووصف الرسول بولس نهاية أيامه بقوله: «فإني أنا الآن أُسكَب سكيباً. ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان. وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (2تي 4: 6–8).

(3) العزيز مكلِّف: لأنه غالي الثمن. وللخلاص من الخطية تكلفةً كبيرة «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16). وموت المؤمن عزيز في عيني الله، لأنه يخرج من الكنيسة المجاهدة إلى الكنيسة المنتصرة.

(ب) التقي عبد للرب: «آهِ يا رب، لأني عبدك. أنا عبدك ابن أَمَتك» (آية 16). يقول المرنم عن نفسه إنه عبد الرب التقي، وإن أمَّه أمَة الرب التقية. والعبارة مكررة في مز 86: 16 «التفت إليَّ وارحمني. أعطِ عبدك قوَّتك وخلِّص ابن أمتك». والمؤمنون جميعاً عبيد الرب لأنه خلقهم، ولأنه يعولهم، ولأنه اشتراهم بالفداء. وهم يتشرَّفون بالعبودية له، لأن هذه العبودية هي الحرية الكاملة، فهي الانتماء لسيد الأرض كلها، وقد قال أحد القديسين: «أنا محتاجٌ إلى ربوبيتك، ولكنك لست محتاجاً لعبوديتي».

ولقب العبد والأَمَة لقب محبَّب لنفوس المؤمنين، أُطلق على موسى مرات كثيرة (تث 34: 5 و1أخ 6: 49)، وعلى يشوع (يش 24: 29 وقض 2: 8)، وعلى إيليا (1مل 18: 36)، وعلى دانيال (دا 6: 20)، وعلى بولس (رو 1: 1)، وعلى بطرس (2بط 1: 1)، وعلى يعقوب (يع 1: 1)، وعلى كل من حرَّرهم المسيح (1بط 2: 16). وقد أطلقته العذراء مريم على نفسها حين قالت للملاك: «هوذا أنا أَمَة الرب» (لو 1: 38).

وتفرِّق التوراة بين العبد المولود في البيت والعبد المشترَى بالمال، فالعبد المولود في البيت أغلى لأنه ينتمي إلى ذلك البيت (تك 14: 14). وما أجمل بيت تيموثاوس الذي قال له الرسول بولس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (2تي 1: 5).

والمؤمن الحقيقي هو الذي يقول للرب: «أُحبُّ سيدي.. لا أخرج حراً» (خر 21: 5)، وهو الذي يتكلم كلاماً صالحاً عن سيده، وشعاره: «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي (كأنه بواب البيت) على السكن في خيام الأشرار» (مز 84: 10).

4 - كيفية تقديم الشكر: (آيات 17-19).

(أ) يذبح ذبيحة الحمد: «أذبح ذبيحة حمد» (آية 17أ). يشبِّه المرنم تسبيحه بذبيحة شكرٍ يقدمها على مذبح الله، كما نصحنا المرنم: «اذبَحْ لله حمداً، وأَوفِ العليَّ نذورك» (مز 50: 14)، وكما أمر النبي هوشع الشعب: «ارجِعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كلَّ إثم.. فنقدِّم عجول شفاهنا» (هو 14: 2). وقد نظمت التوراة ذبيحة السلامة والشكر والحمد في لاويين 7:11-13. ويقول كاتب العبرانيين: «فلنقدم به (بالمسيح رئيس كهنتنا) في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب 13: 15).

(ب) يدعو باسم الرب: «باسم الرب أدعو» (آية 17ب). تساءل في آية 12 ماذا يرد للرب من أجل كل حسناته له؟ وأجاب في آية 13 أنه سيدعو باسم الرب، ويتحدث عن فضله وهو مبهور فخور. اعتاد البشر عندما يحققون نجاحاً مادياً أن يشاركوا أخبار نجاحهم مع غيرهم. فكم يكون مناسباً أن يعلن التقي أخبار نجاحه الروحي بفضل الرب سيد الكون، الذي بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رو 5: 8).

(ج) يوفي النذور أمام الجميع: «أوفي نذوري للرب مقابل شعبه، في ديار بيت الرب، في وسطك يا أورشليم» (آيتا 18، 19). وعد التقي ونذر نذراً، عزم أن ينفذه أمام الجميع في بيت الرب. وعلينا عندما نتعهَّد لله عهداً أن نوفيه في وسط جماعة المؤمنين، في المكان الذي اختاره الله ليكون له مقدساً، حيث أمر أن تكون العبادة. وأورشليم هي عاصمة المرنم الروحية والسياسية. وهذا يعلمنا أن نعلن حمدنا للرب ونوفي نذورنا له أمام كل القيادات الروحية والسياسية، فالرب هو ملك الملوك، وهو رب الأرباب.

وخُتم هذا المزمور بالدعوة «هللويا» لتسبيح الرب، كما خُتم مزمور 104 و105 و106 و113 و115.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ عَشَرَ

1 سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا كُلَّ الأُمَمِ. حَمِّدُوهُ يَا كُلَّ الشُّعُوبِ. 2لأَنَّ رَحْمَتَهُ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيْنَا، وَأَمَانَةُ الرَّبِّ إِلَى الدَّهْرِ. هَلِّلُويَا!

كل الأمم تسبح الرب

هذا خامس مزامير التهليل المصري الستة (مزامير 113-118) التي كانت تُرنَّم أثناء تناول عشاء الفصح، وكانوا يُرتّلونه في بداية العبادة وفي ختامها. وهو أقصر المزامير بالمفارقة مع مزمور 119 أطولها جميعاً. ويدعو مزمورنا أمم العالم كله ليسبحوا الرب الإله الواحد خالقهم جميعاً والمعتني بهم، فحياتهم منه ورجاؤهم فيه، لأنه «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين» (مت 5: 45). فليقدموا له شكر قلوبهم وعبادتهم لأنه أحبهم فضلاً، لا لصلاح فيهم ولا لبرٍّ عملوه، لكن بسبب كثرة رأفته وعظمة صلاحه.

وقد ظهر صلاح الله وقوته في معجزة الخروج، وهذا يؤكد أنه لا بد ينقذ المظلومين ويعاقب الظالمين، الأمر الذي يدفع الجميع لتسبيحه وحمده. فلتلتفت إليه جميع أقاصي الأرض لتنال الخلاص، لأنه هو الله وليس آخر (إش 45: 22)، فيصير المؤمنون به من كل شعب واحداً، يتعبَّدون للإله الواحد «وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع 4: 12).

وقد اعتبرت الكنيسة هذا المزمور مسياوياً (يتنبأ عن المسيح) لأن الرسول بولس اقتبس الآية الأولى منه في رومية 15: 11 عندما تحدث عن امتداد رحمة الله إلى الأمم الوثنية.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - أمر بالتسبيح (آية 1)

ثانياً - أسباب التسبيح (آية 2)

أولا- أمر بالتسبيح
(آية 1)

«سبحوا الرب يا كل الأمم. حمِّدوه يا كل الشعوب» (آية 1). نسل إبراهيم «إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد» (رو 9: 4). أما الوثنيون فلم يكن لهم نصيب في الوعد بالبركة والميراث، إلى أن قبل بعضهم المسيح المخلِّص الفادي، فقال الرسول بولس لهؤلاء: «إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح، أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم وبلا اله في العالم. ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح» (أف 2: 12، 13).

إلى هؤلاء الأمم يوجِّه المرنم الدعوة ليرنموا للرب، لأنه صالح وقد أطال أناته عليهم بالرغم من شرورهم وعصيانهم، وكان كريماً سخياً في عطاياه لهم. فكيف يتعبدون للأوثان؟ إن من يعبدها أعمى ولو كان مبصراً، وجاهل ولو كان حكيماً في أمور دنياه. هل يقارن أوثانه بالرب الذي خلق السماء والأرض، ثم نفخ في تراب فخلق منه آدم أبا البشر؟ لينظر إلى الطبيعة من حوله فيجد «السماوات تحدِّث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه» (مز 19: 1)، تقول للبشر: «سبحوا الرب لأن الترنُّم لإلهنا صالح. لأنه مُلذ. التسبيح لائق» (مز 147: 1). «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز 34: 8).

وقد سمع كثيرون من الوثنيين في زمن العهد القديم نداء هذا المزمور وأمثاله، فآمنوا بالله الواحد ولفظوا أوثانهم، فصاروا مختاري الرب. من هؤلاء راحاب الزانية التي أشرق عليها الرب بنعمته المخلِّصة، فقالت للجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع: «الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت» (يش 2: 11)، فكان إيمانها بالله أقوى من حبها لوطنها، فمنحها الله الوطن السماوي الأفضل. ومنهم راعوث الموآبية التي اختارت أن تصير من شعب الرب لأنها رأت مراحمه وأمانته. ومنهم حيرام ملك صور الذي بارك الرب وقدم خشب أرز وخشب سرو وذهباً لبناء بيت الرب (1مل 5). ومنهم ملكة سبأ التي قالت لسليمان:

«مبارك الرب إلهك» (1مل 10). ومنهم نعمان السرياني رئيس الجيش السوري الذي نال بركة الشفاء من مرض البرص «فرجع إلى رجل الله (أليشع) هو وكل جيشه.. وقال: هوذا قد عرفت أنه ليس إله في كل الأرض إلا في إسرائيل» (2مل 5: 15).

وهكذا تحققت نبوات أصحاب المزامير الذين قالوا: «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم» (مز 22: 26). «يا جميع الأمم صفِّقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج، لأن الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض» (مز 47: 1، 2). «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب، ويمجدون اسمك، لأنك عظيم أنت وصانع عجائب. أنت الله وحدك» (مز 86: 9، 10).

ثانياً - أسباب التسبيح

(آية 2)

1 - يسبحونه لأجل رحمته: «لأن رحمته قد قويت علينا» (آية 2أ). لا بد أن تكون رحمة الله قوية لأنها احتملت أوزار البشر، فيقول المؤمن: «لأن رحمتك أمام عيني» (مز 26: 3). ويحتاج الإنسان إلى رحمة الله القوية لأنه ضعيف، فالجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله. فظهرت رحمة الله للبشر جميعاً «وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب: من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك» (رو 15: 9).

«رحمته قد قويت» بمعنى تعاظمت كما تعاظمت مياه الطوفان فغطَّت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء (تك 7: 18-20)، وذلك لتغطي كثرة آثامنا وخطايانا وتغمرنا بفيض غفران «آثام قد قويت عليَّ.. معاصينا أنت تكفِّر عنها» (مز 65: 3). «ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رومية 5: 20). «وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع» لتنقذ الخاطئ البعيد جداً عن الله.

و«قويت» بمعنى غلبت. ومصدر الرحمة هو الرب العالي ساكن السماوات، وكل من تحت سمائه يلتمس أن تشمله الرحمة فيقوى وينتصر على كل قوى الشر، لأن محبة الله القوية تغلب قساوة قلوبنا الحجرية وتحوِّلها إلى قلوب لحمية تهتف بالإله الحي «لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبُعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا» (مز 103: 11، 12).

وحاجتنا كبشر إلى رحمة الله هي بمقدار الحاجة إلى الحياة «لأن غضب الله مُعلَنٌ من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم.. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو 1: 18 و3: 24)، «لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقُم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف 5: 14).

2 - يسبحونه لأجل أمانته: «وأمانة الرب إلى الدهر» (آية 2ب). الله أمين في صفاته ووعوده وأعماله. هو «إله أمانة لا جور فيه. صدِّيق وعادل هو» (تث 32: 4). قال له داود: «والآن يا سيدي الرب أنت هو الله، وكلامك هو حق» (2صم 7: 28). «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ (أي: إن كان بعض اليهود غير أمناء ورفضوا المسيح) أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا! بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً، كما هو مكتوب: لكي تتبرر في كلامك وتغلب متى حوكمت»» (رو 3: 3، 4). ويوصي الرسول بولس المؤمنين من أصل يهودي ووثني فيقول: «اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله. وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان (اليهود) من أجل صدق الله، حتى يثبت مواعيد الآباء (مواعيد الله لإبراهيم ونسله بالمسيح). وأما الأمم فمجّدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب (في مز 18: 49): من أجل ذلك سأحمدك في الأمم، وأرتل لاسمك. ويقول أيضاً (في تث 32: 43): تهللوا أيها الأمم مع شعبه. وأيضاً (في مز 117: 1): سبحوا الرب يا جميع الأمم، وامدحوه يا جميع الشعوب. وأيضاً يقول إشعياء (11: 1، 10): سيكون أصل يسّى والقائم ليسود على الأمم، عليه سيكون رجاء الأمم (يرجو الأمم الخلاص بالاعتماد عليه)» (رو 15: 7-12).

وفي المسيح نرى رحمة الله القوية «أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو 1: 17)، كما نرى أمانته الدائمة لأن «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب 13: 8).

هللويا! سبحان الله!

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ عَشَرَ

1 اِحْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 2لِيَقُلْ إِسْرَائِيلُ: «إِنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ». 3لِيَقُلْ
بَيْتُ هَارُونَ: «إِنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ». 4لِيَقُلْ مُتَّقُو الرَّبِّ: «إِنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ».

5مِنَ الضِّيقِ دَعَوْتُ الرَّبَّ فَأَجَابَنِي مِنَ الرُّحْبِ. 6الرَّبُّ لِي فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي الإِنْسَانُ؟
7الرَّبُّ لِي بَيْنَ مُعِينِيَّ، وَأَنَا سَأَرَى بِأَعْدَائِي. 8الاِحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى إِنْسَانٍ. 9الاِحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ
خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الرُّؤَسَاءِ. 10كُلُّ الأُمَمِ أَحَاطُوا بِي. بِاسْمِ الرَّبِّ أُبِيدُهُمْ. 11أَحَاطُوا بِي وَاكْتَنَفُونِي. بِاسْمِ
الرَّبِّ أُبِيدُهُمْ. 12أَحَاطُوا بِي مِثْلَ النَّحْلِ. انْطَفَأُوا كَنَارِ الشَّوْكِ. بِاسْمِ الرَّبِّ أُبِيدُهُمْ. 13دَحَرْتَنِي دُحُوراً لأَسْقُطَ،
أَمَّا الرَّبُّ فَعَضَدَنِي. 14قُوَّتِي وَتَرَنُّمِي الرَّبُّ، وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصاً. 15صَوْتُ تَرَنُّمٍ وَخَلاَصٍ فِي خِيَامِ
الصِّدِّيقِينَ. يَمِينُ الرَّبِّ صَانِعَةٌ بِبَأْسٍ. 16يَمِينُ الرَّبِّ مُرْتَفِعَةٌ. يَمِينُ الرَّبِّ صَانِعَةٌ بِبَأْسٍ. 17لاَ أَمُوتُ بَلْ أَحْيَا،
وَأُحَدِّثُ بِأَعْمَالِ الرَّبِّ. 18تَأْدِيباً أَدَّبَنِي الرَّبُّ، وَإِلَى الْمَوْتِ لَمْ يُسْلِمْنِي.

19اِفْتَحُوا لِي أَبْوَابَ الْبِرِّ. أَدْخُلْ فِيهَا وَأَحْمَدِ الرَّبَّ. 20هذَا الْبَابُ لِلرَّبِّ. الصِّدِّيقُونَ يَدْخُلُونَ فِيهِ.
21أَحْمَدُكَ لأَنَّكَ اسْتَجَبْتَ لِي، وَصِرْتَ لِي خَلاَصاً. 22الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ.
23مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا، وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا.

24هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ. 25آهِ يَا رَبُّ خَلِّصْ! آهِ يَا رَبُّ أَنْقِذْ! 26مُبَارَكٌ
الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ. بَارَكْنَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ. 27الرَّبُّ هُوَ اللهُ وَقَدْ أَنَارَ لَنَا. أَوْثِقُوا الذَّبِيحَةَ بِرُبُطٍ إِلَى قُرُونِ
الْمَذْبَحِ. 28إِلهِي أَنْتَ فَأَحْمَدُكَ. إِلهِي فَأَرْفَعُكَ. 29احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ.

مباركٌ الآتي باسم الرب

هذا المزمور هو آخر مزامير التهليل الستة (113-118)، والتي كانت تُرنَّم احتفالاً بالخروج من مصر، وكانوا يرنمونه وهم في طريقهم إلى هيكل الرب. وهو يشبه الكانتاتا، أي القصيدة التي تنشدها مجموعة من المرنمين على أنغام الموسيقى، بدون تمثيل. وموضوع هذه الكانتاتا: هيا نحمد الرب في هيكله. مباركٌ الآتي باسم الرب.

وقد اقتبس العهد الجديد آيات كثيرة من هذا المزمور، فعندما ضرب المسيح مثل الكرامين الأردياء الذين رفضوا ابن صاحب الكرم وقتلوه اقتبس من هذا المزمور آيتي 22، 23 في قوله: «أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا» (مت 21: 42)، وقد تحققت نبوة مزمورنا في الصليب والقيامة، عندما رفض اليهودُ «الكرامون» المسيحَ المخلِّص «الابن» وقتلوه، مع أنه الحجر الذي لا يمكن أن يقوم بناء حياتهم أو يستقيم بغيره. ومن كلمات هذا المزمور هتف الشعب يوم دخول المسيح الانتصاري إلى أورشليم: «مبارك الآتي باسم الرب» (آية 26 مقتبسة في مت 21: 9). كما رنمه المسيح مع تلاميذه بعد وليمة الفصح، عندما رسم لنا فريضة العشاء الرباني قبل ذهابه إلى بستان جثسيماني (مت 26: 30). واقتبس الرسول بطرس آية 22 أيضاً مرة عندما قاوم اليهود إعلانه أن قوة المسيح هي التي أقامت الرجل المقعد من بطن أمه، فقال لهم: «هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون الذي صار رأس الزاوية» (أع 4: 11) ومرة أخرى ليؤكد أنه لن يخزى الذين يؤمنون بالمسيح حجر الزاوية المختار الكريم. أما الذين يرفضونه فسيكون حجر الزاوية لهم حجر صدمة وصخرة عثرة (1بط 2: 6-8). وهذه دعوة لوضع الثقة في المسيح لأنه حجر زاوية حياتنا، ولا نقدر أن ندخل بيت الرب ونتعبد له عبادة مقبولة بدون قبوله. كما لا يمكن أن ندخل بيته الأبدي بدون وضع كل ثقتنا فيه.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يدعو إلى بيت الرب (آيات 1-4)

ثانياً – الترنيم في الطريق إلى بيت الرب (آيات 5-18)

ثالثاً – الترنيم في بيت الرب (آيات 19-29)

أولاً - المرنم يدعو إلى بيت الرب
(آيات 1-4)

يبدأ مزمورنا وينتهي بالدعوة: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته». وهي دعوة وردت 36 مرة في الكتاب المقدس (26 مرة في مزمور 136، كما ورد في 1أي 16: 34 و2أي 5: 13 و7: 3 وعز 3: 11 ومز 100: 5 و106: 1 و107: 1 و118: 1، 29 وإر 33: 11). وورد التعبير «إلى الأبد رحمته» خمس مرات، في 1أي 16: 41 و2أي 7: 6 و20: 21 ومز 118: 3، 4).

1 – الدافع على الدعوة: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته» (آية 1). يدعو المرنم شعب الرب عامة للذهاب إلى بيت الرب لتقديم الشكر والحمد لأن إلهنا صالح ورحيم، ورحمته إلى الدهر والأبد، لا تنتهي أبداً. فيجب أن يهتفوا برحمته وأن يترنموا بصلاحه. «صوت الطرب وصوت الفرح.. صوت القائلين: احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح، لأن إلى الأبد رحمته. صوت الذين يأتون بذبيحة الشكر إلى بيت الرب» (إر 33: 11)، فهو «يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون» (1تي 2: 4).

2 – المدعوون: (آيات 2–4). يدعو المرنم ثلاث فئات من الناس ليذهبوا معه إلى هيكل الرب. وقد تكرر ذكر هذه الفئات في مزمور 115: 9–11 و135: 19.

(أ) بنو إسرائيل: «ليقل إسرائيل: إن إلى الأبد رحمته» (آية 2). «بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي» (مز 89: 1). «يعود يرحمنا. يدوس آثامنا، وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي 7: 19).

(ب) الكهنة: «ل«ليقل بيت هارون: إن إلى الأبد رحمته» (آية 3).

(ج) أتقياء الأمم: «ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته» (آية 4). وهم الذين دخلوا الديانة اليهودية، ولكنهم لم يولدوا من نسل إبراهيم حسب الجسد. لقد آمنوا كما آمن إبراهيم، فصاروا من متَّقي الرب. وقد قال المسيح: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة لراع واحد» (يو 10: 16).

ثانياً - الترنيم في الطريق إلى بيت الرب
(آيات 5-18)

يسود ترنيم الفرح جماعة الرب في الطريق إلى بيت الرب، فيرنم القائد وتجاوبه الجوقة:

1 – القائد يرنم شكراً على النجاة من الضيق: «من الضيق دعوت الرب فأجابني من الرحب. الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟ الرب لي بين معينيَّ، وأنا سأرى بأعدائي». (آيات 5–7). يسير القائد، ولعله أحد الكهنة، أمام الشعب يرنم هذه الآيات بصوت منفرد، وحوله فريق الترنيم، يقطعون شوارع أورشليم متَّجهين إلى الهيكل ليعبدوا الرب. ويذكر القائد أنه دعا الرب في ضيقه فاستجاب له ونجاه. ويعلن للجوقة وللسائرين معهم في الطريق إلى الهيكل أن الرب رحبَّ له من بعد الضيق، فلم يعُد يخاف، لأن الرب له بين معينيه، وقد دبَّر له مساعدين يعاونونه، فعجز أعداؤه عن إيقاع الأذى به، بل «ترتد أعدائي إلى الوراء في يومٍ أدعوك فيه. هذا قد علمتُه لأن الله لي» (مز 56: 9). «لأنه قال لا أهملك ولا أتركك، حتى إننا نقول واثقين: الرب معين لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي إنسان؟» (عب 13: 5، 6). «قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش 65: 24). «لأنه تعلق بي أنجيه أرفعه لأنه عرف اسمي» (مز 91: 14).

2 – الجوقة تعلن طريق النجاة من الضيق: «الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان. الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء» (آيتا 8، 9). أجابت الجوقة المرنم مؤكِّدةً أن الرب هو الملجأ والحِمى الوحيد. عندما أعطى الملك أرتحشستا الوالي نحميا رسائل إلى ولاة الجهات المختلفة في مملكة فارس ليعطوه ما يلزم لبناء سور أورشليم، وليتولوا حراسته في الطريق (نح 2: 7–9) لم تمتنع عداوة طوبيا وسنبلط لنحميا، ولا توقَّفت! وقد شرح سفر نحميا المقاومة المستمرة من تهديد سياسي: «أعلى الملك تتمردون؟» (نح 2: 19)، ومن سخرية «إن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم» (نح 4: 3)، ومن مقاومة عسكرية (نح 4: 8)، ومن تآمر لقتل نحميا (نح 6: 2، 10، 11)، ومن رسائل تخويف (نح 6: 19). وكان السبب الأول في انتصار نحميا هو: توجُّه قلبه دائماً إلى الرب (نح 2: 4). فما أصحَّ النصيحة: «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» (مز 146: 3، 4).

2 – القائد والجوقة يعلنان النصر: في الآيات 10–18 نسمع القائد بترنيمه المنفرد أن الخطر قادم، فيؤكدون له أن النصر آتٍ من عند الرب. ويقتنع بما قالوا، فيعلن نصره باسم الرب.

(أ) **يقول القائد:** «كل الأمم أحاطوا بي». كان المرنم وشعبه كمدينة محاصرة، كما قال المرنم: «أحاطت بي كلاب. جماعة الأشرار اكتنفتني» (مز 22: 16). وهو الوصف الذي أوضحه نحميا بقوله: كل أعدائنا وجميع الأمم الذين حوالينا من العمونيين والفلسطينيين والعرب (نح 6: 7، 8، 16 وعز 4: 7-23).

(ب) **فترد الجوقة:** «باسم الرب أبيدهم» (آية 10). الرب الذي يفي بوعوده. «اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصدّيق ويتمنَّع» (أم 18: 10).

(ج) **يقول القائد:** «أحاطوا بي واكتنفوني».

(د) **فترد الجوقة:** «باسم الرب أبيدهم» (آية 11).

(هـ) **يقول القائد:** «أحاطوا بي مثل النحل»، كما قال موسى لشعبه: «فخرج الأموريون الساكنون في ذلك الجبل للقائكم وطردوكم كما يفعل النحل، وكسروكم» (تث 1: 44).

(و) **فترد الجوقة:** «انطفأوا كنار الشوك. باسم الرب أبيدهم» (آية 12). تشتعل نار الشوك بسرعة وتنطفئ بسرعة، وهكذا كان غضب العدو شديداً وسريعاً، وانتهى كما بدأ، لأن الرب يدافع عن شعبه وهم يتطلعون بتعجُّب ودهشة (خر 14: 14). وهو ما قاله المرنم: «لماذا ارتجَّت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل؟.. الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم.. يرجفهم بغيظه» (مز 2: 1-5).

(ز) **ويقول القائد:** «دحرتني دحوراً لأسقط، أما الرب فعضدني. قوتي وترنمي الرب وقد صار لي خلاصاً. صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين. يمين الرب صانعة ببأس». (آيات 13-15). في كلمات القائد هذه يبدأ بمخاطبة العدو الذي حاول أن يدفعه دفعاً ليسقط، ثم يرفع عينيه إلى الرب الذي عضده فأسنده ونصره. ولا بد أن المرنم كان يذكر ترنيمة موسى: «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده وإله أبي فأرفِّعه» (خر 15: 2) وترنيمة إشعياء: «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي، وقد صار لي خلاصاً» (إش 12: 2). ويذكر المرنم صوت ترانيم الخلاص وهي تعلو من الخيام المصنوعة من سعف النخل وأغصان الشجر أثناء احتفالات الفرح في عيد المظال، آخر الأعياد السنوية الكبرى وثاني أعياد الحصاد والذي كان يقع بعد يوم الكفارة العظيم، وفيه يذكر بنو إسرائيل إقامتهم في مظال في البرية لا يزرعون ولا يحصدون، فعالهم الرب بالمن والسلوى، ورواهم بالماء يجري من الصخر! وفي كل هذا يعظم انتصار القائد بالرب، فيختم بالقول: «يمين الرب صانعة ببأس» كما رنم موسى: «يمينك يا رب معتزَّةٌ بالقدرة. يمينك يا رب تحطم العدو.. تمد يمينك فتبتلعهم الأرض» (خر 15: 6، 12).

(ح) **فترد الجوقة:** «يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس» (آية 16)، وهي كلمات تؤيد تسبيح القائد. فعندما تقوم العقبات والمتاعب في طريقنا تجيبنا السماء بجوقة ترنيم تهتف: «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (مز 34: 7).

(ط) **ويقول القائد:** «لا أموت بل أحيا وأحدِّث بأعمال الرب. تأديباً أدَّبني الرب، وإلى الموت لم يُسْلمني» (آيتا 17، 18). يسمح الرب للعدو أن يُتعب أولاده، ويسمح أن يجوز المؤمنون في آلام وتجارب. ويقول الحكيم: «أمينة هي جروح المحب، وغاشة هي قبلات العدو» (أم 27: 6). ولكن المؤمن التقي الواثق في الرب يُدرك أن يد الله من وراء كل موقف. فلنخضع تحت يد الله القوية كما يستسلم الإناء في يد الفخاري ليصنع منه إناءً للكرامة، عالمين أن «كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيراً فيُعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب 12: 11). وبهذا نعلن انتصارنا وانتصار جميع الذين يمرون بمثل ما نمرُّ به، فإن المعركة والمصير كليهما في يدٍ واحدة أمينة قادرة، هي يد الرب.

ثالثاً - الترنيم في بيت الرب
(آيات 19-29)

اقترب المرنمون من أبواب الهيكل، فينادي القائد:

1 - القائد: «افتحوا لي أبواب البر أدخل فيها وأحمد الرب» (آية 19). لم تكن أبواب الهيكل مغلقة فينادي القائد طالباً فتحها، ولكن المرنم وجوقته والشعب المصاحب له يعلنون رغبتهم أن يقدموا العبادة للرب بالترنيم والحمد. وهذا ما قصده داود بقوله: «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد» (مز 24: 9)، فقد كانت الأبواب مفتوحة، لكن المكان يجب أن يكون مستعداً لاستقبال ملك المجد.. ويدعو المرنم أبواب الهيكل «أبواب البر» لأن الرب البار العادل يقيم فيها، ولأن الرب يبرر من يدخلونها عابدين مستسلمين له معترفين بخطاياهم، فيصبحون أبراراً، بمعنى أنهم يصيرون أصحاب موقف

سليم مقبول أمامه. وقد دخل المسيح هذا الباب باستحقاق ذاته، أما نحن فندخله باستحقاق المسيح وعمله الكفـاري لأجلنـا. «إذ قـد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو 5: 1).

2 – يرد الكهنة: «هذا الباب للرب. الصدّيقون يدخلون فيه» (آية 20). يؤكد الكاهن شرط الدخول في أبواب البر، فيقول إنـه قاصر على الصدّيقين الذين نالوا التبرير من الله لأنهم صرخوا مع العشار: «اللهم ارحمني أنا الخاطي، فنزل إلى بيته مبرراً» (لـو 18: 13، 14). فيقال لهم: «افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة. ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً سالماً، لأنه عليـك متوكل» (إش 26: 2، 3).

3 – فيهتف القائد: «أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصاً. الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاويـة. مِـن قِبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا» (آيات 21–23). تمم المرنم مطالب الله، وطلب مغفرته، فاسـتجاب لـه وصـار لـه خلاصاً. وهكذا صار الحجر الذي رفضه البناؤون رأس الزاوية في حياته، لأنه حجر قوي جداً وكبير جداً، يربط الحـوائط معـاً، ويكمل البناء، فقال الله عنه: «هأنذا أؤسس في صهيون حجراً، حجر امتحانٍ، حجر زاوية كريماً. أساساً مؤسسـاً» (إش 28: 16). مِن قِبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لأنه يرمز إلى المسيح نفسه، بحسب ما أعلنه لنا (في مت 21: 42 ومـر 12: 10، 11 ولو 20: 17). ومع هذا فقد رفضه بنو إسرائيل، قائلين: «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟» (يـو 1: 46) وكـانوا يتساءلون: «أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تُدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟.. فكانوا يعثرون به» (مت 13: 55، 57). «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسـمه» (يو 1: 11، 12). وقد أعلن الرسول بطرس هذه الحقيقة في قوله لليهود: «هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيهـا البنـاؤون، الـذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع 4: 11، 12). وقال عنه الرسول بولس للمؤمنين: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاويـة» (أف 2: 20).

4 – وترنم الجوقة: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقِـذ» (آيتـا 24، 25). أيقن مرنمو الجوقة أن يوم الخلاص قد جاء من عند الرب، فالمسيح حجر الزاوية هو المخلِّص الآتي، ويوم مجيئه هو يوم الفـرح. عندما أعلن الملاك جبرائيل للعذراء أنها ستحبل وتلد ابناً تسمّيه يسوع، هتفت: «تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصـي» (لو 1: 46، 47). وقال الملاك للرعاة وقت ميلاده: «أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب» (لـو 2: 10)، وترنمـت جوقـة الملائكة: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرَّة» (لو 2: 14). وعلى كل من يسمع هذا الخبر المفـرح أن يهتف: «آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقِذ» فلا تدع فرصة الخلاص تفوتك فإن «اليوم يوم خلاص. الوقت وقت مقبـول. اليـوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (عب 3: 7). ولا زال صوت الرب يدعو كل بعيد ليختبر خلاص الرب. إن لم تكن قـد اختبرتـه ارفع قلبك مع الجوقة وقُل: «آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقذ». أما كل من سلَّم حياته للرب فيهتف: «صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين».

5 - ويرد الكهنة: «مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب» (آية 26). عندما يدخل الصدّيقون أصـحاب الموقـف السليم من الله هيكل الرب يباركهم الكهنة من بيت الرب، وينادون لهم: «أوصنا» أي «يا رب خلِّص». وهو هتـاف الشـعب يـوم دخول المسيح الانتصاري إلى أورشليم: «أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (مت 21: 9). مبـارك الرب الذي أتي لينقذ ويخلص. ومبارك أيضاً كل من يأتي من أرض الهلاك ليخلُص بالمسيح ويتمتع به.. يبـارك الكهنـة المسـيح ويمجدونه لأنه الآتي باسم الرب ليخلِّص كل من يحتمي به، ويباركون كل من يقبل المسيح مخلِّصاً.

6 – هتاف الكهنة والقائد والجوقة: «الرب هو الله وقد أنار لنا. أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح. إلهي أنـت فأحمـدك، إلهي أنت فأرفعك. احمدوا الرب لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته» (آيات 27–29). الرب هو الله وهو النور، فقد قـال المسـيح: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يو 8: 12). «الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» (إش 9: 2). «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، أما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف 5: 8).

وكل من أشرق الرب عليه بنوره يوثق نفسه ويربطها إلى قرون المذبح كذبيحة مقدَّمة لله، مكرَّسة لشخصه الكريم، كما يقـول الأمر الرسولي: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضيَّة عند الله، عبادتكم العقليـة» (رو 12: 1)، لأن الرب جذبهم إليه «بربُط المحبة» (هو 11: 4). فيكون المؤمن مثل العبد الذي كان يقول: «أحب سيدي.. لا أخـرج حراً» (خر 21: 5).

ويختم الجميع تسبيحهم في بيت الرب بدعاءٍ أن يرتفع الرب في حياتهم ويكون السيد والأول والآخِر، وهم يهتفون: «إلهي أنت فأحمدك. إلهي أنت فأرفعك، احمدوا الرب لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته».

أبجدية المحبة لله

هذا المزمور نشيد مؤمن يحب الله ويحب كلمته، ويريدها أن تكون أساس أهدافه وسلوكه اليومي، تصبح دستور حياته وتصوغ فكره. وهو يشرح العلاقة الحميمة بينه وبين كلمة الرب، وفيه يعلن إيمانه بكل ما أعلنه الله من مواعيد تحققت في حياته، ويعلن ثقته في عناية الله به، والحرية التي منحها له، فكم أنقذه وقدَّس حياته بالرغم من مقاومة الأعداء له. وكل آيات هذا المزمور صلوات، ما عدا أربع آيات (هي 1-3، 115). وهو يتكوَّن من 176 آية، مقسَّمة إلى 22 قسماً، كل قسم منها ثماني آيات، يبدأ كلٌّ منها بأحد حروف الأبجدية العبرية. ولما كانت الأبجدية هي بداية تعلُّم القراءة، فإن كل من يريد أن يبدأ الحياة الإيمانية العميقة الواثقة يجب أن يدرس كلمة الله لأنها الأساس. (هناك مزامير أبجدية أخرى هي 9، 10، 25، 34، 37، 111، 112، 145).

سُمِّي هذا المزمور «مزمور القديسين» لأنهم هم الذين أحبوا كلمة الله وتشبَّعت أفكارهم بها، فعاشوا بحسبها، ويقول المسيح لهم: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكم به» (يو 15: 3). وسُمِّي أيضاً «أبجدية المحبة لله» لأنه يشرح حالة قلب عرف وصايا الله، وأطاع الأمر: «لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك.. اكتُبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث 6: 6، 9). وهو قلبٌ امتلأ بروح العهد الذي قال الله: «أقطعه مع بيت إسرائيل.. لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم.. لأني أصفح عن إثمهم» (إر 31: 33، 34). وهو قلبٌ عامرٌ بحب الله بالرغم من عداوة الأعداء ومقاومتهم (مز 119: 22، 23، 39).

يبدو هذا المزمور للقارئ المتعجِّل أنه يكرر نفس المعاني، لكن القارئ المتأني الذي يتأمل فيه ويتلذذ به يكتشف عُمق معانيه وتنوُّع أسلوبه، فالمرنم يطلب أن يعرف كلمة الله أكثر ويفهمها أعمق ويطيعها دوماً. والمعرفة يتبعها الفهم والتطبيق، وحين نخطئ في التطبيق نتعلم من أخطائنا، ونحاول من جديد بغير يأس.

عندما كتب القديس أغسطينوس تفسيره لسفر المزامير فسَّر هذا المزمور آخر الكل، وقال إنه اقترب منه بتردُّد وعدم ثقة بالنفس، لأنه أعمق من أن يُفسَّر، فكلمة الله واسعة جداً «لكل كمال رأيت حداً، أما وصيتك فواسعة جداً» (مز 119: 96). وكم من مرة تأملنا آية ونلنا منها بركة، وعندما عاودنا قراءتها وجدنا فيها نوراً جديداً وبركة جديدة.

في هذا المزمور أعلن المرنم فرحه بكلمة الرب (آيتا 14، 16) وأكَّد قيمتها عنده (آية 72) فأحبها (آيات 24، 40، 47، 97، 103) وأعلن فعاليتها، فيقول: «من كلامك جزع قلبي» (آية 161) لأنها كشفت له خطاياه فبكَّته ضميره، كما كشفت له محبة الله المذهلة للخطاة. وهذا ما حدث للسامرية يوم التقت بالمسيح فأعلن لها سراً كانت تخفيه عنه، جعل قلبها يجزع، ولكنها جزعت أكثر لما أعلن لها محبته الفائقة المعرفة، وأكَّد لها قبوله، ثم روى نفسها العطشى من الماء الحي. وأعلن المرنم أن الكلمة تحرِّر وتقود إلى الرحب (آيتا 32، 45)، وتنوِّر الحياة (آية 105)، وتحيي الميت بذنوبه وخطاياه (آيتا 17، 37)، وتثبِّت المؤمن في التمسُّك بمواعيد الله (آيتا 49، 50).

في هذا المزمور أطلق المرنم على كلمة الله ألقاباً تلمس اليوم كل ناحية من نواحي حياتنا، فدعاها:

1- شريعة: وهي في العبرية «توراه» Torah وفي اليونانية «نوموس» Nomos أخذت منها العربية: ناموس، أي طريق سلوك للتهذيب والتعليم، ويجب طاعتها لأنها طريق الرب المستقيمة التي تقودنا إلى السلام والراحة والسعادة «طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب» (آية 1).

2- كلمة: وفي اليونانية Logos وهي لقب السيد المسيح، أي الخالق «في البدء كان الكلمة.. كل شيء به كان» (يو 1: 1، 3). ويتحدث هنا عن الكلمة المكتوبة التي خرجت من فم الله والتي تعلن فكره «بِمَ يزكي الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حسب كلامك» (آية 9). وكلمة الرب هي وسيلة اتصال الله بالبشر، فهو يكلمنا ليتواصل معنا «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً (في كلمته المكتوبة) كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه (الكلمة الحي الرب يسوع المسيح)» (عب 1: 1، 2).

3- فرائض: والفريضة أمر تسنده سلطة، فيقول الابن لأبيه: «علِّمني فرائضك» (آية 12) لأن الأب يضع فرائض البيت لسلامة أفراده ولخير أولاده ولتقدُّم الأسرة. وعند كنيستنا فريضتان: المعمودية، والعشاء الرباني، وتُسمَّيان بهذا الاسم لأن الرب أمرنا بهما.

4- وصايا: وكانت الوصايا الأساسية تُحفَر، مثل الوصايا العشر التي حفرها الله بإصبعه على لوحي حجر، ويجب أن تُحفر أيضاً على ألواح قلوبنا، فنقبلها ونعمل بها لأنها صالحة تقوِّم طريقنا وتضمن لنا الابتعاد عن الضلال «أنت أوصيتَ بوصاياك» (آية 4).

5- أحكام: وهو تعبير قضائي يعبِّر عن حكم الله القاضي العادل الذي سيدين العالم، فالله أصدر حكمه علينا في قوله إن الإنسان خاطئ، وإن الجميع أخطأوا، وإن النفس التي تخطئ تموت. لكن الحكم نفسه يقول إن كل من يضع ثقته في كفارة المسيح يتصالح مع الله بفضل هذه الكفارة. فإن كنا نريد أن نحيا روحياً يجب أن نتصالح مع الله عن طريق كفارة المسيح. وإن كنا نريد أن نحيا في سلام مع الله لنحتمِ في كفارة المسيح، ونقول: «أحمدك باستقامة قلب عند تعلُّمي أحكام عدلك» (آية 7).

6- شهادة: لأنها تشهد علينا، ويُسمَّى تابوت الشهادة «تابوت عهد الرب» (تث 31: 26) لأن الرب كتب الوصايا، وأمر بحفظها في تابوت العهد لأنها عهد بينه وبين شعبه يشهد عليهم وعلى أعمالهم وعلى إيمانهم و«طوبى لحافظي شهاداته» (آية 2). فإن عصينا ليس لدينا عذر، لأنه أعلمنا، كما قال الرسول بولس: «لم أؤخِّر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلَّمتكم به جهراً وفي كل بيت» (أع 20: 20).

7- طريق: كلمة الله ترسم لنا سبيل السلوك الصائب، وتعرِّفنا أنها طريق: «في طرقك يسلكون» (آية 3). كان سلوك العهد القديم يقول: «عين بعين وسن بسن» (تث 19: 21) فجاءت المسيحية طريقاً جديداً يقول: «أَحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أَحْسنوا إلى مبغضيكم» (متى 5: 44).

في هذا المزمور نجد أربعة أجزاء رئيسية:

الجزء الأول - المرنم يرفع قلبه للرب (آيات 1-32)

الجزء الثاني - الرب إله العطاء (آيات 33-80)

الجزء الثالث - الرب إله الإنقاذ (آيات 81-128)

الجزء الرابع - الرب إله الانتصار (آيات 129-176)

الجزء الأول
المرنم يرفع قلبه للرب
(آيات 1-32)

أ

1 طُوبَى لِلْكَامِلِينَ طَرِيقاً، السَّالِكِينَ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ. 2طُوبَى لِحَافِظِي شَهَادَاتِهِ، مِنْ كُلِّ
قُلُوبِهِمْ يَطْلُبُونَهُ. 3أَيْضاً لاَ يَرْتَكِبُونَ إِثْماً. فِي طُرُقِهِ يَسْلُكُونَ. 4أَنْتَ أَوْصَيْتَ بِوَصَايَاكَ أَنْ
تُحْفَظَ تَمَاماً. 5لَيْتَ طُرُقِي تُثَبَّتُ فِي حِفْظِ فَرَائِضِكَ، 6حِينَئِذٍ لاَ أَخْزَى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى كُلِّ
وَصَايَاكَ. 7أَحْمَدُكَ بِاسْتِقَامَةِ قَلْبٍ عِنْدَ تَعَلُّمِي أَحْكَامَ عَدْلِكَ. 8وَصَايَاكَ أَحْفَظُ. لاَ تَتْرُكْنِي إِلَى
الْغَايَةِ.

ب

9 بِمَ يُزَكِّي الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلاَمِكَ. 10بِكُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. لاَ تُضِلَّنِي عَنْ وَصَايَاكَ.
11خَبَّأْتُ كَلاَمَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ. 12مُبَارَكٌ أَنْتَ يَا رَبُّ. عَلِّمْنِي فَرَائِضَكَ. 13بِشَفَتَيَّ حَسَبْتُ كُلَّ
أَحْكَامِ فَمِكَ. 14بِطَرِيقِ شَهَادَاتِكَ فَرِحْتُ كَمَا عَلَى كُلِّ الْغِنَى. 15بِوَصَايَاكَ أَلْهَجُ، وَأُلاَحِظُ سُبُلَكَ. 16بِفَرَائِضِكَ
أَتَلَذَّذُ. لاَ أَنْسَى كَلاَمَكَ.

ج

17أَحْسِنْ إِلَى عَبْدِكَ فَأَحْيَا وَأَحْفَظَ أَمْرَكَ. 18اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ. 19غَرِيبٌ
أَنَا فِي الأَرْضِ. لاَ تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ. 20انْسَحَقَتْ نَفْسِي شَوْقاً إِلَى أَحْكَامِكَ فِي كُلِّ حِينٍ. 21انْتَهَرْتَ

الْمُتَكَبِّرِينَ الْمَلاَعِينَ الضَّالِّينَ عَنْ وَصَايَاكَ. 22دَحْرِجْ عَنِّي الْعَارَ وَالإِهَانَةَ، لأَنِّي حَفِظْتُ شَهَادَاتِكَ. 23جَلَسَ
أَيْضاً رُؤَسَاءُ تَقَاوَلُوا عَلَيَّ، أَمَّا عَبْدُكَ فَيُنَاجِي بِفَرَائِضِكَ. 24أَيْضاً شَهَادَاتُكَ هِيَ لَذَّتِي أَهْلُ مَشُورَتِي.

د

25لَصِقَتْ بِالتُّرَابِ نَفْسِي فَأَحْيِنِي حَسَبَ كَلِمَتِكَ. 26قَدْ صَرَّحْتُ بِطُرُقِي فَاسْتَجَبْتَ لِي. عَلِّمْنِي
فَرَائِضَكَ. 27طَرِيقَ وَصَايَاكَ فَهِّمْنِي فَأُنَاجِيَ بِعَجَائِبِكَ. 28قَطَرَتْ نَفْسِي مِنَ الْحُزْنِ. أَقِمْنِي حَسَبَ كَلاَمِكَ.
29طَرِيقَ الْكَذِبِ أَبْعِدْ عَنِّي، وَبِشَرِيعَتِكَ ارْحَمْنِي. 30اخْتَرْتُ طَرِيقَ الْحَقِّ. جَعَلْتُ أَحْكَامَكَ قُدَّامِي. 31لَصِقْتُ
بِشَهَادَاتِكَ. يَا رَبُّ، لاَ تُخْزِنِي. 32فِي طَرِيقِ وَصَايَاكَ أَجْرِي لأَنَّكَ تُرَحِّبُ قَلْبِي.

في هذا الجزء نجد:

أولاً – شريعة الرب ترفع القلب (آيات 1–8)

ثانياً – المرنم يطلب النقاوة (آيات 9–16)

ثالثاً – المرنم يطلب معرفة الكلمة (آيات 17–24)

رابعاً – المرنم يطلب الحق (آيات 25–32)

أولاً - شريعة الرب ترفع القلب

(آيات 1-8)

1- الشريعة تسعد القلب: (آيات 1–3).

(أ) سعادة السلوك: «طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب» (آية 1). يبدأ هذا المزمور بالتطويب كما يبدأ المزموران 1، 32 «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار.. لكن في ناموس الرب مسرته.. طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته» (مز 1: 1، 2 و32: 1)، كما تبدأ الموعظة على الجبل بالتطويب: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات» (مت 5: 3). كل الناس في تعاسة الخطية يطلبون السعادة ولا يجدونها إلا في الشريعة التي هي طريق الله وتعليمه الواجب الطاعة، فيصيرون كاملين وبلا لوم. واليوم نعلم أن الطريق هو المسيح الذي قال: «أنا هو الطريق» (يو 14: 6). وهو الذي يقول: «ادخلوا من الباب الضيق.. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة» (مت 7: 13، 14).

نحن بالطبيعة دنسون، بعيدون عن الطريق، لكن كل من يغتسل بالدم الذي يطهِّر من كل خطية، يتجدَّد بقوة الروح القدس، ويردُّه الرب إلى سبُل البرّ من أجل اسمه، ويجعله يسلك أمامه بالكمال، ويمنحه النعمة القادرة أن تحفظه في الطريق الصحيح، فهو «القادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج. الإله الحكيم الوحيد مخلِّصنا» (يه 24، 25).

(ب) سعادة الطاعة: «طوبى لحافظي شهاداته، من كل قلوبهم يطلبونه. أيضاً لا يرتكبون إثماً. في طرقه يسلكون» (آيتا 2، 3). وحفظ الشيء يعني الحرص الشديد عليه، ونحن نحتفظ في القلب بما نحبه ونرغبه. وحفظ الكلمة يعني أن نعيش في خضوع لسلطانها، فهي كالمسطرة التي توضِّح لنا طول قامتنا الروحية وكم هي ناقصة، وترينا مقدار العوَج الذي فينا، فندرك شدَّة حاجتنا إلى نعمة الله التي تكمل نقصنا وتقوِّم عوجنا. والذين يدرسون كلمة الله ويعزمون على السلوك بموجبها يسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء، ويفتدون الوقت لأن الأيام شريرة (أف 5: 15، 16). ما أسعد أيوب وهو يقول: «بخطواته استمسكَت رِجْلي. حفظت طريقه ولم أحِد» (أي 23: 11). وإذا حفظنا شهادات الرب حفظتنا «وفي حفظها ثواب عظيم» (مز 19: 11).

2- الشريعة أوامر الرب: (آيات 4–8).

(أ) التقي يرغب في طاعتها: «أنت أوصيتَ بوصاياك أن تُحفظ تماماً. ليت طرقي تُثبَّت في حفظ فرائضك» (آيتا 4، 5). يبدأ التقي طاعته للكلمة عند معرفته أن الرب أوحى بها. وعندما يتكلم الرب فلا بديل عن الطاعة. ويذكِّر المرنم نفسه بمسؤوليته ومسؤولية شعبه، فإذا ساروا في طريق الكاملين يكونون قد بدأوا الطريق السليم. وكم يختلف طريق الإنسان عن طريق الرب «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو 12: 2). وعندما يواجه المؤمن مشكلة قد يسلك سلوكاً على شكل سلوك أهل هذا الدهر الخاطئ، فيظن أنه ينجو لو كذب، ويستريح لو انتقم، وقد يشكُّ في محبة الله. ولكنه سرعان ما يكتشف خطأه، فيرجع إلى الرب، ويثبِّت طرقه في حفظ الفرائض، فينطبق عليه الوصف: «ذو الرأي الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل» (إش 26: 3).

(ب) التقي يتبارك بطاعتها: «حينئذ لا أخزى إذا نظرتُ إلى كل وصاياك. أحمدك باستقامة قلب عند تعلُّمي أحكام عدلك» (آيتا 6، 7). الخطية تولِّد الخزي، وإذا تخلَّصنا منها تزول أسباب الخزي. لم يعرف أبونا الأوَّل الخزي إلا بعدما استمع لكلام الحية، ولم يتحرر منه إلا بعد أن ستره الإله المحب بالأقمصة المصنوعة من جلد الذبيحة (تك 3: 21). وعندما نقرأ وصاياه ونتأملها لا نخزى منها، بل نشهد بها أمام الآخرين، ونقول: «لستُ أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن» (رو 1: 16). ولن نكون أتقياء بالحقيقة إلا إذا صمَّمنا أن نحفظ كل وصايا الرب. و«إن لم تلُمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله، ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه، ونعمل الأعمال المرضيَّة أمامه» (1يو 3: 21، 22). ومن يطلب حياة القداسة سيحمد الرب باستقامة قلب، ويرتفع التسبيح من قلبه المستقيم الذي يحب الله.

(ج) التقي يحيا في محضر الرب: «وصاياك أحفظ. لا تتركني إلى الغاية» (آية 8). عندما أخطأ بنو إسرائيل غضب الرب عليهم وسمح بسبيهم، ولكنه لم يتركهم في السبي «إلى الغاية»، بل أرجعهم بعد سبعين سنة. ويطلب المرنم من إلهه الصالح أن لا يتركه وألا يعاقبه إلى الغاية، بل أن يردَّه إليه كما ردَّ سبي أيوب، فعاش فرحاً في محضر الرب.

ثانياً - المرنم يطلب النقاوة

(آيات 9-16)

بدأت الفقرة الأولى من المزمور بتطويب الكاملين طريقاً، وتبدأ الفقرة الثانية بتحديد معالم طريق ذلك الكمال.

1- النقاوة نتيجة الطاعة: (آيات 9-11).

(أ) سؤال: «بِمَ يزكّي الشاب طريقه؟» (آية 9). في جزء «ب» من هذا المزمور نجد ست آيات تبدأ كلماتها بحرف الباء، لأن هذا الحرف في اللغة العربية له نفس المعنى في اللغة العبرية (وهي آيات 9، 10، 13-16). والتزكية تعني أن يطهِّر الشاب طريقه ويحفظ نفسه طاهراً (1تي 5: 22). كل البشر خطاؤون كفارون بنعمة الله، والشباب معرَّضون أكثر من غيرهم للشهوات الشبابية. فليكن للشاب ضمير صالح وشهادة حسنة. وعُمْر الشباب هو وقت إلقاء البذار لبلوغ الحياة الناضجة، ثم للحياة الأبدية. فما أهم البداية السليمة والاستمرار في الطريق الصحيح! وعلى الشاب أن يزكي طريقه لأن خطوةً واحدة خاطئة في زمن الشباب تقود إلى خطوات أخرى أبعد، فما أجمل النصيحة: «اذكُر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس فيها سرور» (جا 12: 1).. ويجاوب المرنم على السؤال الذي أثاره، فيقول: «بحفظه إياه حسب كلامك» لأن عظمة الكلمة تظهر في قدرتها على إحداث التطهير المطلوب، والكتاب المقدس هو كلمة الله، وهو «نافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي هو في البر» (2تي 3: 16). فلنتضرَّع إلى إلهنا قائلين: «لا تذكر خطايا صباي ولا معاصيَّ. كرحمتك اذكرني أنت من أجل جودك يا رب» (مز 25: 7).

(ب) طلبة: «بكل قلبي طلبتك. لا تضلَّني عن وصاياك» (آية 10). طلب المرنم بكل قلبه أن يكون الرب له سيداً، ومشيراً، وصديقاً ليطمئن ويسير على دربه، لا يبتعد عنه، لأنه بقدر ما يحب القداسة بكل القلب يطلب النجاة من السقوط من الخطية. «إذاً من يظنُّ أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (1كو 10: 12) لأنه «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمةً، وعاقبتها طرق الموت» (أم 14: 12).

(ج) حِرْص: «خبأتُ كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (آية 11). فهم المرنم الكلمة وصدَّقها وأحبها، فخبأها في مكان آمن هو قلبه باعتبارها كنزاً ثميناً يُحرِص عليه من الضياع. ومن يخبئ كلمة الله في قلبه يكون مستعداً لمواجهة التجارب «يا ابني إن قبلت كلامي وخبأت وصاياي عندك.. فالعقل يحفظك والفهم ينصرك لإنقاذك من طريق الشرير» (أم 2: 1، 11، 12).. انتصر المسيح على إبليس بالمكتوب. وعندما سخر المستمعون من الرسول بطرس وزملائه بسبب تكلُّمهم بألسنة يوم الخمسين، اقتبس الرسول بطرس من الكلمة ودافع بها عن نفسه وعن زملائه، وعن رسالته (أع 2: 16). إن كلمة الله تعلن لك فكر الله وإرادته. فإذا أطعت الله كل يوم، وخضعت للفخاري العظيم سيصنع منك إناءً للكرامة مقدساً نافعاً للسيد (2تي 2: 21).

2- النقاوة نتيجة دراسة الكلمة: (آيات 12-16).

(أ) تعلُّم الكلمة: «مباركٌ أنت يا رب. علِّمني فرائضك» (آية 12). سبَّح المرنم الرب وباركه لأجل كل ما أعلنه له وما فعله معه، وطلب أن يعلِّمه الفرائض التي لا يقدر أن يعرفها إلا الذين تعلموا من القائل: «تعلَّموا مني» (مت 11: 29). وفرائض الله هي الطريق إلى القداسة، فلنتعلمها كتلاميذ في مدرسة الرب، خاضعين لهذا المعلم، و«نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة» (1بط 1: 15).

(ب) ردَّد الكلمة: «بشفتيَّ حسبتُ كل أحكام فمك» (آية 13). أعلن المرنم بصوت عال كل أحكام الله التي إذا خبأها في قلبه ظهرت على شفتيه، لأن من فضلة القلب يتكلم الفم (مت 12: 34). لقد آمن فتكلم (مز 116: 10) فشهد له ضميره أنه بشَّر الآخرين بما تعلَّمه من كلمة الله، ولم يُخفِ البشارة عنهم، لكنه من كنز قلبه الصالح أخرج الصالحات (مت 12: 35)، وكان كرب بيتٍ يُخرج من كنزه جدداً وعتقاء (مت 13: 52). شبع قلبه من كلمة الله فأراد أن يُشبع الآخرين، وكل من يفرِّق يزداد (أم 11: 24). ذهب المرنم ينادي بأحكام الرب، لأنه أدرك مسؤولية القول: «أنتم نور العالم.. لا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت» (مت 5: 14، 15).

(ج) فرح بالكلمة: «بطريق شهاداتك فرحتُ كما على كل الغنى. بوصاياك ألهج وألاحظ سبلك. بفرائضك أتلذَّذ، لا أنسى كلامك» (آيات 14-16). في هذه الآيات الثلاث خمسة أفعال جديرة بالتأمل: فرحتُ، ألهج، ألاحظ، أتلذَّذ، لا أنسى. وليس سرورٌ أعظم من معرفة كلمة الله والعمل بها. وكلما كملت الطاعة تعاظم الفرح. والذي يريد أن يتمتع بأيام السماء على الأرض يجعل سروره بطاعة وصايا الله، فالابتهاج بالكلمة دليل على أنها عملت في القلب، وطهَّرت الحياة.. وشهادات الرب أعظم من كل غِنى الأرض، وقد تلذَّذ المرنم بالكلمة أكثر من تلذُّذ الأغنياء بثرواتهم. كان داود ملكاً وغنياً، آلت إليه ثروات الشعوب كمكاسب حرب، لكنه لم يضع قلبه عليها بل كرَّسها لبناء بيت الرب. يفرح أهل العالم بغنى العالم، لكن ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ (مت 16: 26). ومتى كان لأحدٍ كثير فليست حياته من أمواله (لو 12: 15).

ومن فرط سعادة المرنم بالكلمة لهج بها وكررها، ثم لاحظها، أي ربط بين ما يردِّده بفمه والحياة التي يحياها. واللهج في كلمة الله هو الطريق إلى التقوى العملية، وكل من يختبر نعمة اللهج يستمر فيه، ويطيع الوصية: «لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه نهاراً وليلاً، لكي تتحفَّظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه» (يش 1: 8).

ثالثاً - المرنم يطلب معرفة الكلمة
(آيات 17-24)

1- معرفة الكلمة إحسان من الله: (آيتا 17، 18).

(أ) لأنها محيية: «أحسِن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أمرك» (آية 17). الحياة الجسدية والروحية إحسان من الرب، فلا يمكن أن نعرف الله معرفةً محيية إلا عندما نقبل كلمته، وهذا إنعامٌ منه علينا. ويعترف المرنم أنه مجرد عبد، لا حقَّ له أن يطلب شيئاً، وليس له أي استحقاق في ذاته، فاعتمد على نعمة الله وطلب رحمته الكثيرة، و«الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مُخلَّصون» (أف 2: 4، 5). ومن إحسان الله علينا أنه يقبل أن نصرف الحياة في خدمته، وشعارنا: «مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 2: 20).

(ب) لأنها عجيبة: «اكشف عن عينيَّ فأرى عجائب من شريعتك» (آية 18). حياتنا الطبيعية تغشاها الظلمة الروحية، ولا يمكن للبصيرة العادية أن تفهم أسرار الإعلان الإلهي، فطلب المرنم من الرب أن يكشف عن عينيه ليرى عجائب الشريعة، كما صلى أليشع من أجل غلامه: «يا رب افتح عينيه فيبصر. ففتح الرب عيني الغلام، فأبصر، وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع» (2مل 6: 17) فأدرك الغلام أن الذين معهم أكثر من الذين عليهم. وإن كان المرنم قد رأى في الناموس عجائب، فكم يكون في الإنجيل! «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته. مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين» (أف 1: 17، 18). وهذا ما فعله المسيح مع تلميذي عمواس لما «فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو 24: 45). أما البعيدون عن إحسان الرب فقد «أُغلظت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف، الذي يُبطَل في المسيح. لكن حتى اليوم حين يُقرأ (ناموس) موسى البرقع موضوع على قلبهم. ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفَع البرقع» (2كو 3: 14-16). ونحن نحتاج إلى بصيرة روحية لنرى كل ما ذخره الرب لنا في كلمته وأعماله.

2- المرنم يحتاج للمعرفة: (آيات 19-24).

(أ) لأنه غريب: «غريبٌ أنا في الأرض، لا تُخفِ عني وصاياك» (آية 19). أدرك المرنم أنه غريب في هذه الدنيا التي يحكمها إبليس، رئيس هذا العالم (يو 14: 30 و16: 11)، ودستورها شيطاني، لأن «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله» (2كو 4: 4). ويرى المرنم أنه غريب لأن مبادئه مختلفة عن مبادئ مَن هم حوله. ويعترف كل شعب الرب أنهم غرباء، لأن السماء موطنهم، وليس العالم إلا مكان سياحتهم، وهم في

احتياج إلى مرشد ورفيق ومعزٍ حتى ينتهي زمان غربتهم. ويشبه الأتقياء مسيحهم الذي كان غريباً في عالمنا، وقال: «مملكتي ليست من هذا العالم.. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا» (يو 18: 36).

(ب) لأنه مشتاق للمعرفة: «انسحقَت نفسي شوقاً إلى أحكامك في كل حين» (آية 20). انسحقت من شدة شوقه ليعرف أحكام الله في ما يختلف فيه الناس، فكلمة الله هي الحكَم الذي يحسم كل خلاف، ومنها يعرف المؤمن مشيئة الله، ويميِّز الأمور المتخالفة، متعلِّماً من الناموس (رو 2: 18). وعبَّر المرنم عن أشواقه لأنه كان دائماً يحيد عن الشر، ولا يعرج بين فرقتين، ولا يخدم سيدين.

(ج) لأنه محاطٌ بالأشرار: «انتهرْتَ المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك. دَحْرِج عني العار والإهانة لأني حفظت شهاداتك. جلس أيضاً رؤساء تقاولوا عليَّ، أما عبدك فيناجي بفرائضك. أيضاً شهاداتك هي لذَّتي أهل مشورتي» (آيات 21-24). يرى المرنم المنطق الخاطئ للعالم والأشرار، ومع ذلك يرى نجاحهم فينزعج «رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة» (مز 37: 35). إنهم يتعظمون على الله ويعملون ضد إرادته «وقالوا: كيف يعلم الله؟ وهل عند العلي معرفة؟» (مز 73: 11). ولكن المرنم يعرف أن «مكرهة الرب كل متشامخ القلب» (أم 16: 5) ويقول: «مخافة الرب بُغْضُ الشرّ. الكبرياء والتعظم وطريق الشر وفم الأكاذيب أبغضتُ» (أم 8: 13)، ويطلب من الرب أن لا يجعل المعاشرات الرديئة تفسد أخلاقه الجيدة (1كو 15: 33)، ويطلب أن يرفع عنه العار والازدراء. لقد عيَّره أعداؤه وأهانوه لأنه حفظ شهادات الرب، فاحتمل العار لأجل الرب قائلاً: «إننا مِن أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح» (رو 8: 36). فاختبر كيف «أنزل الأعزّاء عن الكراسي ورفع المتَّضعين» (لو 1: 52).. وكلما تعرَّضنا للتعيير نجد تعزيتنا في مخلّصنا الذي تجرَّب وتألم قبلنا، ونجده قادراً أن يعين المجرَّبين (عب 2: 18)، فهو يُسكت شفاه الكذب، ويقيم المسكين من التراب، ويعطينا نعمة لنحتمل الافتراءات، ونثق أنه سيدافع عنا في الوقت المناسب «ويُخرِج كالنور برَّك، وحقَّك مثل الظهيرة» (مز 37: 6).. ولكن من المؤسف أن بعض الاتهامات الموجَّهة ضدَّنا قد تكون صحيحة. عندها نحتاج أن نسمع النصيحة: «أي مجدٍ إن كنتُم تُلطَمون مخطئين فتصبرون؟ بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضلٌ عند الله» (1بط 2: 20).

وفي كل هذا كانت شهادات الرب هي لذَّته، أهل مشورتي، فقد أحبَّ شهادات الرب الحكيمة التي تمدُّه بالمشورة وقت الحيرة وهو في مفترَق الطرق، ووسط الخوف والقلق، وفي زمن الاحتياج. «وهذا أصلّيه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم، حتى تميِّزوا الأمور المتخالفة، لكي تكونوا مُخْلَصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح، ومملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح، لمجد الله وحمده» (في 1: 9-11).

رابعاً - المرنم يطلب الحق
(آيات 25-32)

1- لأنه مضطهَد: «لصِقت بالتراب نفسي فأَحْيِني حسب كلمتك» (آية 25). يصوِّر المرنم نفسه ساقطاً على الأرض عاجزاً عن القيام، وهو يريد أن يعرف السبب: هل هو فساده الطبيعي الذي يجعله كلما أراد أن يفعل الحسنى وجد الشر حاضراً عنده؟ (رو 7: 18)، أم هل هي المضايقات من خارجه ومن داخله؟.. إنه يعلم أن نفس الإنسان تسكن بيتاً من تراب، وبسبب سقوطها تلتصق بالتراب، فيعترف بعجزه ويطلب من الله أن يحييه، ويقول: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي» (يو 6: 68، 69). إن في كلمة الله قوة تمنحنا الحياة، إن طلبناها، فنسلك قدام الرب في أرض الأحياء (مز 116: 9)، ونكون «مولودين ثانيةً، لا من زرعٍ يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (1بط 1: 23). فلتكن صلاتنا: «ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك؟ أَرنا يا ربُّ رحمتك، وأعطنا خلاصك» (مز 85: 6).

2- لأنه يحب الوصايا: «قد صرَّحتُ بطرقي فاستجب لي، علِّمني فرائضك. طريق وصاياك فهِّمني فأناجي بعجائبك» (آيتا 26، 27). يصرِّح المرنم للرب بطرقه، ويعترف له، ويشكو من متاعبه، ويطلب أن يتعلم الفرائض فيناجي بمعجزات العناية العجيبة، ويقول: «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً» (مز 46: 1).. إن كنا حزانى يعزينا، أو ضعفاء يقوينا، أو حيارى يهدينا. «لنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه» (عب 4: 16). وكل من يطلب أن يفهم وصايا الرب يقول له: «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز 32: 8). «لي المشورة والرأي. أنا الفهم. لي القدرة» (أم 8: 14). لقد قال الله لشعبه القديم: «هذه هي الطريق» (إش 30: 21) وقال المسيح لنا: «أنا هو الطريق» (يو 14: 6). فلنطلب أن يفهِّمنا لأنه معلمنا الذي قال: «إن شاء أحدٌ أن يعمل مشيئته يعرف التعليم» (يو 17: 7). وحين نعرف ونفهم ننقل

للآخرين ما تعلمناه، فنقول: «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة» (إش 50: 4) فنتبارك نحن ويتبارك شعبنا.

3- لأنه يكره الكذب: «قطَرت نفسي من الحزن، أقِمني حسب كلامك. طريق الكذب أبعِد عني، وبشريعتك ارحمني» (آيتا 28، 29). تذوب النفس التائبة حزناً على خطاياها، فتسكب تضرعاتها أمام الله. وتذوب النفس المضطهَدة حزناً من افتراءات الكاذبين، فالعالم موضوع في الشرير، يقوده الكذاب وأبو الكذاب (يو 8: 44). وطريق الكذب هو طريق الخطية والضلال، وحياة الخطية كذبة من أولها إلى آخرها. لقد ذابت نفس المرنم لهذين السببين حتى تحوَّلت إلى دموع منسكبة أمام الله، كما قال أيوب: «لله تقطر عيني» (أي 16: 20). وكثيراً ما تثقَّلت نفوسنا بالأحزان حتى أحسسنا أننا نُسكَب سكيباً، لكن من الخير لنا أن نذوب حزناً من أن تتقسى قلوبنا بعدم التوبة، فلنكن من عابري وادي البكاء الذين يصيِّرونه ينبوعاً (مز 84: 6)، الذين في شدة حزنهم يطلبون نعمةً من الله حتى يقدروا أن يحتملوا الأحزان دون أن يخوروا، فيسمعون الوعد: «كأيامك قوتك» (تث 33: 25)، ويهتفون:««حوَّلت نَوْحي إلى رقص لي. حللتَ مِسْحي ومنطقتني فَرَحاً» (مز 30: 11). فما أعظم رحمة الله الذي أعطانا شريعته التي تحفظنا من الضلال ومن طريق الكذب. «إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (1يو 1: 7).

4- لأنه يحب الحق: «اخترتُ طريق الحق، جعلتُ أحكامك قدامي. لصقْتُ بشهاداتك. يا ربُّ لا تُخْزني. في طريق وصاياك أجري لأنك ترحِّب قلبي» (آيات 30–32). الأفعال الموجودة في هذه الآيات الثلاث هي: «**اخترت**» أي أخذتُ قراراً أن أبغض طريق الكذب وأن أحب طريق الحق، فلا خير في مؤمن يعرج بين الفرقتين، ويخدم سيدين. والذين يختارون طريق الحق هم الذين سبق الله فعرفهم، وسبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، فدعاهم وبرَّرهم، ولا بد يمجِّدهم. ثم يقول: «**لصِقْتُ**» أي اتَّحدت بما قررتُه ولن أتركه. والذي يلتصق بكلمة الله يثق ويؤمن أن يكون مقبولاً عنده. لقد بدأ المرنم هذا الجزء من المزمور بقوله: «لصقَتْ بالتراب نفسي» وأحياه الله حسب كلمته، فقال: «لصقْتُ بشهاداتك»، وأتبَعها بالقول: «يا ربُّ، لا تُخْزني» فعظُم انتصاره بمن أحبه. بعدها يقول «في طريق وصاياك **أجري**» من العالم إليك. «هكذا اركضوا لكي تنالوا، وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء» (1كو 9: 24). ونتيجة استجابة الرب لرغبات المرنم الثلاث :اخترتُ، لصقتُ، أجري، رحَّب الله له، فقال: «لأنك ترحِّب قلبي» فيتَّسع لكلمة الله التي هي «واسعة جداً» (مز 119: 96). ويرحِّب الله قلوب شعبه بعمل الروح القدس فيهم، ويعطيهم الحكمة السماوية، فيقولون: «عند دعائي استجِب لي، يا إله بري. في الضيق رحَّبت لي. تراءف عليَّ واسمع صلاتي» (مز 4: 1). وعندما يسكب الرب محبته في قلوبنا فإن كل ما نفعله تفعله نعمة الله العاملة فينا، فنصير مثل موسى الذي فضَّل «أن يُذَلَّ مع شعب الله على أن يكون له تمتُّع وقتي بالخطية، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة» (عب 11: 25، 26). ونصير مثل بولس الذي قال: «أسعى، لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع.. أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت، ولكني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (في 3: 12–14). لقد التصق المرنم بكلمة الرب، فرحَّب له، وعندما استراح من متاعبه استخدم قواه فيما هو أفضل.

الجزء الثاني
الرب إله العطاء
(آيات 33-80)

هـ

33عَلِّمْني يَا رَبُّ طَرِيقَ فَرَائِضِكَ، فَأَحْفَظَهَا إِلَى النِّهَايَةِ. 34فَهِّمْني فَأُلاَحِظَ شَرِيعَتَكَ وَأَحْفَظَهَا بِكُلِّ
قَلْبِي. 35دَرِّبْني فِي سَبِيلِ وَصَايَاكَ، لأَنِّي بِهِ سُرِرْتُ. 36أَمِلْ قَلْبِي إِلَى شَهَادَاتِكَ لاَ إِلَى الْمَكْسَبِ. 37حَوِّلْ
عَيْنَيَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَاطِلِ. فِي طَرِيقِكَ أَحْيِني. 38أَقِمْ لِعَبْدِكَ قَوْلَكَ الَّذِي لِمُتَّقِيكَ. 39أَزِلْ عَارِي الَّذِي حَذِرْتُ
مِنْهُ، لأَنَّ أَحْكَامَكَ طَيِّبَةٌ. 40هَئَنَذَا قَدِ اشْتَهَيْتُ وَصَايَاكَ. بِعَدْلِكَ أَحْيِني.

و

41 لِتَأْتِنِي رَحْمَتُكَ يَا رَبُّ، خَلاَصُكَ حَسَبَ قَوْلِكَ، 42فَأُجَاوِبَ مُعَيِّرِي كَلِمَةً، لأَنِّي اتَّكَلْتُ عَلَى كَلاَمِكَ. 43وَلاَ
تَنْزِعْ مِنْ فَمِي كَلاَمَ الْحَقِّ كُلَّ النَّزْعِ لأَنِّي انْتَظَرْتُ أَحْكَامَكَ. 44فَأَحْفَظَ شَرِيعَتَكَ دَائِماً إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ،

45وَأَتَمَشَّى فِي رُحْبٍ لأَنِّي طَلَبْتُ وَصَايَاكَ، 46وَأَتَكَلَّمُ بِشَهَادَاتِكَ قُدَّامَ مُلُوكٍ وَلاَ أَخْزَى، 47وَأَتَلَذَّذُ بِوَصَايَاكَ
الَّتِي أَحْبَبْتُ، 48وَأَرْفَعُ يَدَيَّ إِلَى وَصَايَاكَ الَّتِي وَدِدْتُ، وَأُنَاجِي بِفَرَائِضِكَ.

ز

49اُذْكُرْ لِعَبْدِكَ الْقَوْلَ الَّذِي جَعَلْتَنِي أَنْتَظِرُهُ. 50هذِهِ هِيَ تَعْزِيَتِي فِي مَذَلَّتِي، لأَنَّ قَوْلَكَ أَحْيَانِي.
51الْمُتَكَبِّرُونَ اسْتَهْزَأُوا بِي إِلَى الْغَايَةِ. عَنْ شَرِيعَتِكَ لَمْ أَمِلْ. 52تَذَكَّرْتُ أَحْكَامَكَ مُنْذُ الدَّهْرِ يَا رَبُّ، فَتَعَزَّيْتُ.
53الْحَمِيَّةُ أَخَذَتْنِي بِسَبَبِ الأَشْرَارِ تَارِكِي شَرِيعَتِكَ. 54تَرْنِيمَاتٍ صَارَتْ لِي فَرَائِضُكَ فِي بَيْتِ غُرْبَتِي.
55ذَكَرْتُ فِي اللَّيْلِ اسْمَكَ يَا رَبُّ، وَحَفِظْتُ شَرِيعَتَكَ. 56هذَا صَارَ لِي، لأَنِّي حَفِظْتُ وَصَايَاكَ.

ح

57 نَصِيبِي الرَّبُّ قُلْتُ لِحِفْظِ كَلاَمِكَ. 58تَرَضَّيْتُ وَجْهَكَ بِكُلِّ قَلْبِي. ارْحَمْنِي حَسَبَ قَوْلِكَ. 59تَفَكَّرْتُ
فِي طُرُقِي، وَرَدَدْتُ قَدَمَيَّ إِلَى شَهَادَاتِكَ. 60أَسْرَعْتُ وَلَمْ أَتَوَانَ لِحِفْظِ وَصَايَاكَ. 61حِبَالُ الأَشْرَارِ الْتَفَّتْ عَلَيَّ،
أَمَّا شَرِيعَتُكَ فَلَمْ أَنْسَهَا. 62فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ. 63رَفِيقٌ أَنَا لِكُلِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَكَ،
وَلِحَافِظِي وَصَايَاكَ. 64رَحْمَتُكَ يَا رَبُّ قَدْ مَلأَتِ الأَرْضَ. عَلِّمْنِي فَرَائِضَكَ.

ط

65 خَيْراً صَنَعْتَ مَعَ عَبْدِكَ يَا رَبُّ حَسَبَ كَلاَمِكَ. 66ذَوْقاً صَالِحاً وَمَعْرِفَةً عَلِّمْنِي، لأَنِّي بِوَصَايَاكَ
آمَنْتُ. 67قَبْلَ أَنْ أُذَلَّلَ أَنَا ضَلَلْتُ، أَمَّا الآنَ فَحَفِظْتُ قَوْلَكَ. 68صَالِحٌ أَنْتَ وَمُحْسِنٌ. عَلِّمْنِي فَرَائِضَكَ.
69الْمُتَكَبِّرُونَ قَدْ لَفَّقُوا عَلَيَّ كَذِباً، أَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ قَلْبِي أَحْفَظُ وَصَايَاكَ. 70سَمِنَ مِثْلَ الشَّحْمِ قَلْبُهُمْ، أَمَّا أَنَا
فَبِشَرِيعَتِكَ أَتَلَذَّذُ. 71خَيْرٌ لِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ لِكَيْ أَتَعَلَّمَ فَرَائِضَكَ. 72شَرِيعَةُ فَمِكَ خَيْرٌ لِي مِنْ أُلُوفِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ.

ي

73 يَدَاكَ صَنَعَتَانِي وَأَنْشَأَتَانِي. فَهِّمْنِي فَأَتَعَلَّمَ وَصَايَاكَ. 74مُتَّقُوكَ يَرَوْنَنِي فَيَفْرَحُونَ، لأَنِّي انْتَظَرْتُ
كَلاَمَكَ. 75قَدْ عَلِمْتُ يَا رَبُّ أَنَّ أَحْكَامَكَ عَدْلٌ، وَبِالْحَقِّ أَذْلَلْتَنِي. 76فَلْتَصِرْ رَحْمَتُكَ لِتَعْزِيَتِي حَسَبَ قَوْلِكَ
لِعَبْدِكَ. 77لِتَأْتِنِي مَرَاحِمُكَ فَأَحْيَا، لأَنَّ شَرِيعَتَكَ هِيَ لَذَّتِي. 78لِيَخْزَ الْمُتَكَبِّرُونَ لأَنَّهُمْ زُوراً افْتَرَوْا عَلَيَّ. أَمَّا أَنَا
فَأُنَاجِي بِوَصَايَاكَ. 79لِيَرْجِعْ إِلَيَّ مُتَّقُوكَ وَعَارِفُو شَهَادَاتِكَ. 80لِيَكُنْ قَلْبِي كَامِلاً فِي فَرَائِضِكَ لِكَيْ لاَ أَخْزَى.

في هذا الجزء نجد:

أولاً – احتياجات المرنم (آيات 33–48)

ثانياً – المشجِّعات على الطلب (آيات 49–64)

ثالثاً – الشكر على الاستجابة (آيات 65–80)

أولاً - احتياجات المرنم
(آيات 33-48)

1- الحاجة إلى المعرفة: (آيات 33–35).

(أ) علّمني فأحفظ: «علِّمني يا رب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية» (آية 33). يعلن المرنم أن حاجته الأولى هي إلى المعرفة والتعلُّم، والمعرفة معلومة تدخل عقولنا، أما التعلم فهو الخضوع بوداعة لتطبيق ما تعلمناه في الحياة اليومية «الرب صالح ومستقيم. لذلك يعلم الخطاة الطريق.. ويعلم الودعاء طرقه» (مز 25: 8، 9). ويطلب المرنم من الله أن يعلِّمه طريقاً يسير فيه إلى نهايته، وإلى نهاية حياته، حيث يحصل على الجزاء السماوي، فإن «في حفظها ثواب عظيم» (مز 19: 11). أراد المرنم أن يعرف طريق القداسة العملية، فأشبع الرب فيه هذه الرغبة القلبية، لأنه يستجيب، وقد أحبنا إلى المنتهى، ولا حدود لعمل

نعمته الفاعلة دائماً في المؤمن ليكمل القداسة في خوف الله. «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (في 1: 6) لأنه «هوذا الله يتعالى بقدرته، ومن مثله معلماً؟» (أي 36: 22).

(ب) فهِّمني فألاحظ: «فهِّمني فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبي» (آية 34). بعدما تعلم، طلب أن يفهم لأن «كون النفس بلا معرفة ليس حسناً» (أم 19: 2). وحين بدأ في تطبيق ما تعلمه اصطدم بمقاومة الأشرار الذين وضعوا العراقيل في طريقه، فطلب ذهناً مستنيراً وفهماً مقدساً، لأن روح الحكمة والإعلان في معرفة المكتوب تفهمنا كل شيء، فإن «ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق» (1يو 5: 20). ومن المؤسف أن هناك فهماء في أعين أنفسهم فلا يطلبون الفهم السماوي «وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» (رو 1: 22). فلنطلب الفهم السماوي، لأن «الحكمة هي الرأس. فاقتنِ الحكمة، وبكل مقتناك اقتن الفهم» (أم 4: 7) فتلاحظ شريعته وتتمسك بها بكل قلبك «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت 6: 21).

(ج) دربِّني فأُسرَّ: «دربِّني في سبيل وصاياك لأني به سُررت» (آية 35). يطلب المرنم التدريب السماوي لتخضع إرادته للرب، لأن الله هو العامل فيه أن يريد وأن يعمل من أجل المسرة (في 2: 13). والتدريب هو التعلم من التجربة والخطأ فنعرف الصواب، ونطيع الكلمة بالرغم من المقاومة، ونتمسك بها بسرور لأن المعونة السماوية تأتينا من عند الرب. وحتى إن سقطنا نقوم لأن الرب يمسك يدنا (مز 37: 24) «لأن الصدِّيق يسقط سبع مرات، ويقوم» (أم 24: 16)، ويتحقق له ما تحقق مع سليمان عندما قال الرب له: «سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم، هوذا قد فعلتُ حسب كلامك. هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً» (1مل 3: 11، 12).. طلب المرنم التدريب ليسير في سبيل وصايا الله الذي سار فيه كل عبيد الرب الأمناء، كما قال داود: «ها قد سُررتَ بالحق في الباطن، ففي السريرة تعرفني حكمة» (مز 51: 6).

2- الحاجة إلى التقديس: (آيتا 36، 37).

(أ) محبة الكلمة: «أَمِل قلبي إلى شهاداتك، لا إلى المكسب» (آية 36). في سبيل الوصول إلى الحياة المقدسة طلب المرنم أن يُميل الله قلبه إلى شهاداته، لا إلى المكسب الحرام، فيكون «السالك بالحق، والمتكلم بالاستقامة، الراذل مكسب المظالم، النافض يديه من قبض الرشوة» (إش 33: 15). وطلب أن يحفظه الرب من الطمع الذي يُبعد القلب عن شهادات الرب، فيطيع وصية المسيح: «انظروا وتحفَّظوا من الطمع» (لو 12: 15)، فإن محبة المال أصل لكل الشرور. ومن يريد أن يميل قلبه إلى محبة الله وكلمته يجب أن يتخلَّص من محبة العالم التي هي عداوة لله (يع 4: 4).

(ب) الهروب من الباطل: «حوِّل عينيَّ عن النظر إلى الباطل. في طريقك أحيني» (آية 37). الذي يحب الكلمة يهرب من الباطل إلى المقدس. وليصل المرنم إلى حياة القداسة طلب من الله أن يحول نظره عن الباطل الفاني غير الحقيقي، لأنه يريد أن يسلك في طريق مستقيم، فيقاوم تجارب إبليس الذي يعوج الطريق، ويطيع الوصية: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة. ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته. وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (1يو 2: 15-17). وفي تحويل النظر عن الباطل وتثبيته في طريق الرب يملك الرب على الحياة، فيفعل المؤمن الحسنى.

3- الحاجة إلى تحقيق الوعود: (آيات 38-40).

(أ) الوعود أقوال الله: «أقِم لعبدك قولك الذي لمتَّقيك» (آية 38). وعد الرب أتقياءه ببركات روحية ومادية، فإن هم طلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه يزيد لهم كل شيء (مت 6: 33). وفي هذه الطلبة يسأل المرنم الرب أن يحقق له وعوده الصادقة والأمينة (رؤ 21: 5) فيقول: «مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح» (1مل 8: 56).

(ب) الوعود طيبة: «أَزِل عاري الذي حذِرتُ منه لأن أحكامك طيبة. هأنذا قد اشتهيت وصاياك، بعدلك أحيني» (آيتا 39، 40). وعود الله لا بد أن تتحقق لأن قائلها هو الله، ولا بد أن تزيل عار المرنم الذي عيَّره به أعداؤه لأنه أطاع الله، فيقول: «مِن كل معاصيَّ نجني. لا تجعلني عاراً عند الجاهل» (مز 39: 8). وهناك تعيير يأتي على المؤمن لأنه أخطأ، وهذا التعيير يجلب الإهانة لله وللمؤمن. لكن إن كان التعيير بسبب طاعة الله وإتمام مشيئته فطوبى لصاحبه، كما قال المسيح: «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين» (مت 5: 11)، وكما قيل: «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم» (1بط 4: 14). ويشتهي المرنم الوعود الإلهية الصالحة الطيبة، ويثق في العدالة الإلهية المنصفة، التي تجعله لا يهتم بأحكام الناس عليه، بل بأحكام الرب.

4- الحاجة إلى الرحمة: (آيات 41-48).

(أ) الرحمة تخلِّص: «لتأتني رحمتُك يا رب، خلاصُك حسب قولك» (آية 41). تخلِّص الرحمة الإلهية التي وعدنا الرب بها من الخطايا، ومن الضيق، ومن الأعداء، ومن العوز. ويضرع الخاطئ: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك اُمح معاصيَّ» (مز 51: 1). «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو 18: 13). ويؤسس المرنم طلبه على إيمانه الواثق في كفاية رحمة الله التي هي أفضل من الحياة (مز 63: 3). وحين تدركنا الرحمة يأتينا معها الخلاص حسب قوله: «قلتَ اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب» (مز 27: 8). والمرنم يعرف أن خلاصه الحاضر عربون للخلاص الأبدي «هوذا الله خلاصي فأطمئن» (إش 12: 2) وهو نابع من رحمة الله وليس من أي استحقاق فينا «بالنعمة أنتم مُخلَّصون» (أف 2: 5). وبالإيمان ننال المواعيد كما آمن إبراهيم حسب الرجاء «فحُسب له براً» (تك 15: 6).

(ب) الرحمة تجاوب المعيِّر: «فأجاوب معيريَّ كلمة، لأني اتكلت على كلامك. ولا تنزع من فمي كلام الحق كل النزع، لأني انتظرت أحكامك، فأحفظ شريعتك دائماً إلى الدهر والأبد» (آيات 42-44). عندما تدركنا رحمة الله تنقذنا، فنجاوب المعيِّرين الذين طالما قالوا: «ليس له خلاص بإلهه» (مز 3: 2). فنقول لهم: بل مواعيد الله صادقة وأمينة، نعتمد عليها كصخرة منيعة ثابتة، فإن الله هو «القادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد، مخلصنا. له المجد والعظمة والقدرة والسلطان» (يه 24).

وفي تواضع يطلب المرنم من الله أن لا ينزع من فمه كلام الحق، لأنه ينتظر أحكامه، فلا يقول إلا الحق، وينطق بكلمة الحق في أوانها لأجل مجد الله، ويكون مستعداً أن يجاوب كل من يسأله عن سبب الرجاء الذي فيه (1بط 3: 15). وهذا يؤدي به إلى حفظ كلمة الله إلى نهاية الحياة، وإلى الأبد، فيكون إنسان الله الكامل المتأهب لكل عمل صالح (2تي 3: 17). ومع أن المؤمن يمر بلحظات ضعف أمام مقاومة الشرير، إلا أنه يدرك ضعفه، فيطلب أن يحفظ شريعة الرب إلى نهاية الحياة، مهما كانت تعييرات المعيِّر.

(ج) الرحمة تجعلنا نشهد: «وأتمشَّى في رحب لأني طلبت وصاياك، وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى» (آيتا 45، 46). رحمة الله توسع لنا وتقودنا إلى الرحب، أي إلى الأرض المتسعة حيث لا خوف ولا اضطهاد، فنتمشى في رحب بلا خوف، لأن الرب يمنحنا الطمأنينة. ليس المؤمن أسير خطاياه لأنه بالنعمة يتحرر من كل خطية، فيفعل الخير لا كرهاً بل طوعاً. وعندما يأتي ضيق من داخل نفس المؤمن كالخوف، أو الشك، أو القلق من المستقبل، أو يأتي من خارجه من تعيير واضطهاد، فإنه يعتمد على إلهه، ويطيع وصاياه، فيختبر الرحب لأنه أحب الوصية، فيتكلم بشهادات الرب قدام ولاة وملوك ولا يخزى، لأن رحبه يشهد أن إلهه حي، كما شهد النبي إيليا أمام الملك أخآب (1مل 18: 41-46)، وكما شهد الفتية الثلاثة أمام ملك بابل (دا 3)، وكما شهد الرسول بولس أمام الواليين فيلكس وفستوس (أع 24)، وأمام الملك أغريباس (أع 26)، وهو القائل: «لأني لستُ أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن» (رو 1: 16).

(د) الرحمة تلذِّذ وتدفع للتعبُّد: «وأتلذذ بوصاياك التي أحببتُ، وأرفع يديَّ إلى وصاياك التي وددت، وأناجي بفرائضك» (آيتا 47، 48). حيث يكون كنزنا هناك يكون قلبنا. وكل من يحب كلمة الله يتلذَّذ بسماعها وتلاوتها والتحدُّث بها. ويتلذذ المؤمن عندما ينتصر على الخوف والشك، فلا تدخل تهديدات العدو إلى داخل نفسه، فيثق ويثبت في كلام الله ووعوده التي تحققت معه «أحكام الرب حق عادلة كلها. أشهى من الذهب والإبريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشهاد» (مز 19: 9، 10). فيرفع يديه إلى وصايا الله العامرة بالمواعيد التي يحبها ويناجي بها. ورفع اليدين معناه الصلاة من مستغيث يقول: «أستغيث بك وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (مز 28: 2)، كما رفع موسى يديه فانتصر شعبه (خروج 17: 8-13). ورفع اليدين معناه ابتعادهما عن العالم وانشغالهما بما هو فوق حيث المسيح جالس (كو 3: 1). ومعناه الصلاة بلجاجة كما فعل عزرا (عز 9: 5). ومعناه الثقة في أنه سيتلقَّى المعونة والعطاء «معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض» (مز 121: 2) «هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا» (مز 123: 2).

ثانياً - المشجِّعات على الطلب
(آيات 49-64)

1- وعود الرب: «اذكُر لعبدك القول الذي جعلتني أنتظره. هذه هي تعزيتي في مذلتي، لأن قولك أحياني» (آيتا 49، 50). كانت مواعيد الرب المشجع الأول للمرنم ليطلب من إله العطاء، فطالب الرب أن يذكر وعوده المشجعة التي جعلته أن ينتظر الرب الذي قال: «ادعُني في يوم الضيق، أنقذك فتمجدني» (مز 50: 15). فيقول مع داود: «أيها الرب، ليثبت إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به

عن عبدك وعن بيته، وافعل كما نطقت» (1أخ 17: 23). ويذكِّر المرنم الرب بوعوده الأمينة لأنها تعزيته في مذلته، ولأنها تمنحه الحياة الفضلى التي وعده بها، واثقاً أن الله يذكر ولا ينسى.

2- متاعب المرنم: «المتكبرون استهزأوا بي إلى الغاية. عن شريعتك لم أَمِلْ. تذكَّرتُ أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزَّيت. الحَمِيَّة أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك» (آيات 51-53). شجعت المتاعب المرنم ودفعته ليشكو ويطلب الإنقاذ من شدة مضايقات المستهزئين به بسبب إيمانه. والمستهزئون هم أشرُّ أنواع الخطاة لأنهم يرفضون الكلمة ويسخرون من الذين يقبلونها، وعنهم قال المسيح: «لا تعطوا القُدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم» (مت 7: 6). تمسك المرنم بالشريعة التي رفضها المتكبرون المستهزئون، ولم يمل عنها بالرغم من استهزائهم، فامتلأت نفسه بالتعزية والراحة.. ولكن استهزاء المتكبرين بكلمة الله وبعبادته جعله يغضب غضباً مقدساً، فشعر كأن الحمى أصابته ورفعت درجة حرارته، كما شعر عزرا فقال: «اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء» (عز 9: 6). ولا بد أن المرنم خاف على مصير المستهزئين وعلى مصير أولادهم، لأن الشر يؤذي الشرير ويؤذي المحيطين به.

3- غُربة المرنم: «ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي. ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك. هذا صار لي لأني حفظت وصاياك» (آيات 54-56). كان المشجع الثالث للمرنم على الطلب من إله العطاء أنه غريب في الأرض مشغول بالسماء. جسده في الأرض، ولكن روحه مع الرب ومع كلمته التي سهر على تلاوتها. والشعور بالاغتراب عن العالم طبيعي في المؤمنين، فقد «قال يعقوب لفرعون: أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة. قليلة وردية» (تك 47: 9). وهم يحتاجون إلى فرح سماوي يعبِّرون عنه بترنيمات هي قصائد شعر تصاحبها الموسيقى، فيصير حفظها وترديدها أسهل وأسرع. وعندما يرنم المؤمن يذكر اسم الرب بكل صفاته، ويقول: «نحمدك يا الله نحمدك، واسمك قريب» (مز 75: 1). وفي ظلمة الليل وكآبة الأحزان يلجأ المؤمن لاسم الرب البرج الحصين ويتمنع (أم 18: 10). ويقول: «في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك» (مز 119: 62).

4- انتماء المرنم: «نصيبي الرب قلتُ لحفظ كلامك. ترضَّيت وجهك بكل قلبي. ارحمني حسب قولك. تفكَّرتُ في طرقي ورددتُ قدميَّ إلى شهاداتك. أسرعت ولم أتوان لحفظ وصاياك» (آيات 57-60). هذا سبب رابع شجع المرنم ليطلب من إله العطاء، فهو متأكد من انتمائه لله، لأن الرب هو نصيبه، فإن «الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها» (لو10: 42) وقال إرميا: «نصيبي هو الرب قالت نفسي» (مرا 3: 24). وكل من يجعل الرب نصيبه يصبح الرب موضوع بهجته، ويجعل وصاياه منهاج حياته الذي عزم أن يستمر فيه حتى النهاية، ويفضل كلمة الله على كل غنى العالم ومباهجه و«طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» (لو 11: 28). وكل من ينتمي للرب يحبه ويحفظ كلامه ويطلب مرضاته ويبتغيها، ويقول: «لا أطلقك إن لم تباركني» (تك 32: 26)، ولا يكف عن طلب وجهه ورحمته، ويتفكَّر في طرقه فيفحص سلوكه باستمرار قائلاً: «انظُر إن كان فيَّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً» (مز 139: 24). «لتكُن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّة أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز 19: 14). لقد وجد المرنم كنزه في وصايا الرب، فدفعه انتماؤه للصلاة والطلب من رب العطاء.

5- تمسُّك المرنم: «حبال الأشرار التفَّت عليَّ، أما شريعتك فلم أنسها. في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك. رفيقٌ أنا لكل الذين يتَّقونك ولحافظي وصاياك. رحمتك يا رب قد ملأت الأرض. علِّمني فرائضك» (آيات 61-64). لم يكن المرنم في وضع مريح، لأن حبال الأشرار التفَّت عليه مثل الفخ أو الشبكة التي ألقوها عليه لتكون مشنقة يخنقونه بها. إنهم يريدونه سجيناً أو ميتاً. ولكنه في هذه جميعها يؤكد أنه لم ينسَ شريعة الرب، بل تمسك بها، ولم يكف عن طلب وجه الرب والسلوك في طاعته، وشعاره: «الأشرار وضعوا لي فخاً، أما وصاياك فلم أضل عنها» (مز 119: 110). وفي منتصف الليل، بينما كان الناس نائمين استيقظ هو ليسجد على ركبتيه ليمجد الرب على أحكامه، لأنه كان واثقاً أنه سينصفه لأنه إله عادل. لم يهتم بأن يراه أحد، لكنه قدَّم شكره لأبيه السماوي الذي يرى في الخفاء ويجازيه علانية. ومثالنا في الصلاة هو المسيح الذي كان يقوم باكراً جداً للصلاة (مر 1: 35) ويقضي الليل كله في الصلاة (لو 6: 12).

وأدَّى تمسك المرنم بكلمة الله إلى تمسكه بالمؤمنين ووجد فيهم مسرته، كما قيل: «القديسون الذين في الأرض والأفاضل، كل مسرتي بهم» (مز 16: 3). وعندما يتمسك المؤمنون بكلمة الرب، ويحبون بعضهم بعضاً تمتلئ الأرض من رحمة الرب الذي «يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب» (مز 33: 5).

ثالثاً _ الشكر على الاستجابة

(آيات 65-80)

1 - شكر على خير الرب: «خيراً صنعت مع عبدك يا رب حسب كلامك. ذوقاً صالحاً ومعرفةً علِّمني لأني بوصاياك آمنت. قبل أن أُذلل أنا ضللت، أما الآن فحفظت قولك» (آيات 65-67). يرفع المرنم شكره لأن الرب أعطاه خيراً، وكل ما يصنعه الرب مع عبيده هو للخير. المرض للخير. ابتعاد الأصدقاء للخير. الخسارة خير. «قولوا للصديق خير» (إش 3: 10). لا شك أن اختبار الضيق أليم، لكن إن كان الله معنا فمن علينا؟ (رو 8: 31). ولأن الله وهب المرنم خيراً يطلب منه حكمة ليستخدم هذا الخير ليقود إلى خير أكبر «لأن كل من له يُعطى فيزداد» (مت 25: 29). والحكمة هي الذوق الصالح، والقدرة على التمييز بين الخير والشر، وتعليم الآخرين أن يذوقوا وينظروا ما أطيب الرب (مز 34: 8)، لأن «كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر لأنه طفل. وأما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر» (عب 5: 13، 14). فنطيع الوصية: «خذوا تأديبي لا الفضة، والمعرفة أكثر من الذهب المختار. لأن الحكمة خير من اللآلئ وكل الجواهر لا تساويها» (أم 8: 10، 11).

ويذكر المرنم اختباراً سابقاً، فقد ضلَّ عن الرب فأدَّبه، فقال: «أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي» (مز 32: 5). وليس لدى الله أولاد لا يخطئون، ولكن كل أولاده يتوبون، ويقولون: «إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي. أحتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه» (مي 7: 8، 9). ولا يجب أن ندين المخطئ، بل أن نصلي لأجله. «هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيُثبَّت، لأن الله قادر أن يثبته» (رو 14: 4).

2- شكر على صلاح الرب: «صالحٌ أنت ومحسن. علِّمني فرائضك. المتكبرون قد لفَّقوا عليَّ كذباً، أما أنا فبكل قلبي أحفظ وصاياك. سمن مثل الشحم قلبهم، أما أنا فبشريعتك أتلذذ. خيرٌ لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك. شريعة فمك خيرٌ لي من ألوف ذهب وفضة» (آيات 68-72). يكرر المرنم شكره لله إله العطاء لأنه صالح ومحسن. هو صالح في ذاته ومحسن لخلائقه. والصلاح في الإنسان صفة أو عطية، لكنه في الله جوهر، وليس أحدٌ صالحاً إلا واحد، وهو الله (مر 10: 18). وتشهد إحسانات الله بأنه صالح. «لم يترك نفسه بلا شاهد، وهو يفعل خيراً، يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع 14: 17). قد يُحسن الإنسان إلى شخص يحبه، أما الله فيحسن إلى من لا يستحق. قال المسيح: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات. يهب خيرات للذين يسألونه» (مت 7: 11). لقد أحسن الآب السماوي إلى المرنم بأن أنعم عليه بالتبني (يو 1: 12)، ثم أعطاه كل ما يحتاج إليه (مز 23: 1)، فقرر أن يطيع الله بكل قلبه وأن يتلذَّذ بالأُنس به، رغم أنه محاطٌ بأشرار يختلقون الأكاذيب ضده، وهم متكبرون وكاذبون، يبدو كما لو أن قلوبهم مغلَّفة بطبقة من الشحم فلا تؤثر فيها الحقائق الروحية.

ويشكر المرنم الرب على متاعبه، لأنها جعلته يتمسك بالرب ويعتمد عليه أكثر مما فعل في الماضي، فيقول: «خيرٌ لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك». لقد رأى أن «الضيق ينشئ صبراً، والصبر تزكية» (رو 5: 3)، وعلم أن خفَّة ضيقته الوقتية تنشئ له أكثر فأكثر ثِقل مجد أبدياً (2كو 4: 17)، واعترف أن شريعة الله أفضل من كل الغنى. وليس هناك عيب في امتلاك الذهب أو الفضة، ولكن الخطأ في أن تحتلّ هذه مكان الشريعة في قلب الإنسان، أو في إن كان مصدرها حراماً.

3- شكر على أعمال الرب: «يداك صنعتاني وأنشأتاني. فهِّمني فأتعلَّم وصاياك. متَّقوك يرونني فيفرحون لأني انتظرت كلامك. قد علمت يا رب أن أحكامك عدل، وبالحق أذللتني» (آيات 73-75). يشكر المرنم ربَّه لأنه خلقه، كما قال أيوب: «يداك كوَّنتاني وصنعتاني كلي جميعاً» (أي 10: 8)، وكما قال المرنم: «لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنعتُ في الخفاء ورُقمتُ في أعماق الأرض. رأت عيناك أعضائي، وفي سفرك كلها كُتبت يوم تصوَّرت إذ لم يكن واحد منها» (مز 139: 15، 16). قال موسى في نشيده، بعد كتابة التوراة: «أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عملك وأنشأك» (تث 32: 6).. ولما يسقط المؤمن في الخطية ويضل يُعيد الله خلقه إناءً جديداً كما يفعل الفخاري (إر 18).. بالولادة الأولى دخلنا عالم الجسد، والمولود من الجسد جسد هو. وبالولادة الثانية ندخل عالم الروح، لأن المولود من الروح هو روح «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف 2: 10). وكثيراً ما يسمح الله بالذل والتعب للإنسان ليقرِّبه إليه، كما قال موسى لشعبه: «وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك.. لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك: أتحفظ وصاياه أم لا؟ فأذلك وأجاعك وأطعمك.. لكي يعلمك» (تث 8: 2، 3). وهكذا تعلَّم المرنم أن أحكام الرب عادلة، وأنه إن أذلَّه سيكون هذا بالحق والعدل، وسينتج له كل الخير. «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ 15: 3).

4- شكر على رحمة الرب: «فَلْتصِر رحمتك لتعزيتي حسب قولك لعبدك. لتأتني مراحمُك فأحيا لأن شريعتك هي لذتي» (آيتا 76، 77). يعود المرنم ثانية ليطلب الرحمة الإلهية وتحقيق المواعيد الإلهية العامة لكل شعب الرب، والخاصة به هو «حسب قولك

لعبدك» ويسأل التعزية نتيجةً لمراحم الرب التي هي جديدة كل صباح (مرا 3: 23)، فإن «الله أمين. الذي لا يدعكم تجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (1كو 10: 13). حقاً «كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزِّيكم أنا» (إش 66: 13). «حينئذ تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معاً. وأحوِّل نوحهم إلى طرب، وأعزيهم، وأفرحهم من حزنهم. وأروي نفس الكهنة من الدسم، ويشبع شعبي من جودي يقول الرب» (إر 31: 13، 14). «من أجل اسمك يا رب تحييني. بعدلك تُخرج من الضيق نفسي» (مز 143: 11).

5 – شكر على نصر الرب: «ليخْزَ المتكبرون لأنهم زوراً افتروا عليَّ، أما أنا فأناجي بوصاياك. ليرجع إليَّ متَّقوك وعارفو شهاداتك. ليكن قلبي كاملاً في فرائضك لكيلا أخزى» (آيات 78–80). يثق المرنم أن الله سينصره، فيخزى أعداؤه الأشرار الذين افتروا عليه زوراً. ولعل المرنم كان يذكر النصر الذي منحه الله لداود وقت انقلاب أبشالوم ابنه عليه، فخزي كل من قام ضد داود، وبقي داود ملكاً ينشد لله تراتيل الفرح والشكر، فرجع الأتقياء إلى الله يسبحونه ويشكرونه على انتصار الحق وهزيمة الباطل. وعاد المرنم يطلب ما طلبه داود: أن يكون قلبه كاملاً حتى يستمر انتصاره ولا يخزيه أحد. لقد علم أن المتكبرين افتروا عليه زوراً وأبغضوه بلا سبب، وبدل محبته كافأوه شراً، ولكن الرب أكرمه. وهو يريد أن يكرم الرب بأن يكون قلبه كاملاً. والكمال هنا هو كمال النية لا الكمال المطلق. وينوي المرنم بكل قلبه أن يخدم الرب وأن يعبده، فلا يخجل منه، لأنه «إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله، ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه» (1يو 3: 21، 22).

الجزء الثالث
الرب إله الإنقاذ
(آيات 81-128)

ك

81 تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى خَلاَصِكَ. كَلاَمَكَ انْتَظَرْتُ. 82كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى قَوْلِكَ، فَأَقُولُ: «مَتَى
تُعَزِّينِي؟» 83لأَنِّي قَدْ صِرْتُ كَزِقٍّ فِي الدُّخَانِ، أَمَّا فَرَائِضُكَ فَلَمْ أَنْسَهَا. 84كَمْ هِيَ أَيَّامُ عَبْدِكَ؟ مَتَى تُجْرِي
حُكْماً عَلَى مُضْطَهِدِيَّ؟ 85الْمُتَكَبِّرُونَ قَدْ كَرُوا لِي حَفَائِرَ. ذَلِكَ لَيْسَ حَسَبَ شَرِيعَتِكَ. 86كُلُّ وَصَايَاكَ أَمَانَةٌ.
زُوراً يَضْطَهِدُونَنِي. أَعِنِّي. 87لَوْلاَ قَلِيلٌ لأَفْنَوْنِي مِنَ الأَرْضِ، أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَتْرُكْ وَصَايَاكَ. 88حَسَبَ رَحْمَتِكَ
أَحْيِنِي فَأَحْفَظَ شَهَادَاتِ فَمِكَ.

ل

89 إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ. 90إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ أَمَانَتُكَ. أَسَّسْتَ الأَرْضَ فَثَبَتَتْ.
91عَلَى أَحْكَامِكَ ثَبَتَتِ الْيَوْمَ، لأَنَّ الْكُلَّ عَبِيدُكَ. 92لَوْ لَمْ تَكُنْ شَرِيعَتُكَ لَذَّتِي لَهَلَكْتُ حِينَئِذٍ فِي مَذَلَّتِي. 93إِلَى
الدَّهْرِ لاَ أَنْسَى وَصَايَاكَ لأَنَّكَ بِهَا أَحْيَيْتَنِي. 94لَكَ أَنَا فَخَلِّصْنِي لأَنِّي طَلَبْتُ وَصَايَاكَ. 95إِيَّايَ انْتَظَرَ الأَشْرَارُ
لِيُهْلِكُونِي. بِشَهَادَاتِكَ أَفْطَنُ. 96لِكُلِّ كَمَالٍ رَأَيْتُ حَدّاً، أَمَّا وَصِيَّتُكَ فَوَاسِعَةٌ جِدّاً.

م

97 كَمْ أَحْبَبْتُ شَرِيعَتَكَ! الْيَوْمَ كُلَّهُ هِيَ لَهَجِي. 98وَصِيَّتُكَ جَعَلَتْنِي أَحْكَمَ مِنْ أَعْدَائِي، لأَنَّهَا إِلَى الدَّهْرِ
هِيَ لِي. 99أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مُعَلِّمِيَّ تَعَقَّلْتُ، لأَنَّ شَهَادَاتِكَ هِيَ لَهَجِي. 100أَكْثَرَ مِنَ الشُّيُوخِ فَطِنْتُ، لأَنِّي حَفِظْتُ
وَصَايَاكَ. 101مِنْ كُلِّ طَرِيقِ شَرٍّ مَنَعْتُ رِجْلَيَّ، لِكَيْ أَحْفَظَ كَلاَمَكَ. 102عَنْ أَحْكَامِكَ لَمْ أَمِلْ، لأَنَّكَ أَنْتَ
عَلَّمْتَنِي. 103مَا أَحْلَى قَوْلَكَ لِحَنَكِي! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِي. 104مِنْ وَصَايَاكَ أَتَفَطَّنُ، لِذَلِكَ أَبْغَضْتُ كُلَّ
طَرِيقِ كَذِبٍ.

ن

105 سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ، وَنُورٌ لِسَبِيلِي. 106حَلَفْتُ فَأَبِرُّهُ أَنْ أَحْفَظَ أَحْكَامَ بِرِّكَ. 107تَذَلَّلْتُ إِلَى
الْغَايَةِ. يَا رَبُّ، أَحْيِنِي حَسَبَ كَلاَمِكَ. 108ارْتَضِ بِمَنْدُوبَاتِ فَمِي يَا رَبُّ، وَأَحْكَامَكَ عَلِّمْنِي. 109نَفْسِي دَائِماً
فِي كَفِّي، أَمَّا شَرِيعَتُكَ فَلَمْ أَنْسَهَا. 110الأَشْرَارُ وَضَعُوا لِي فَخّاً، أَمَّا وَصَايَاكَ فَلَمْ أَضِلَّ عَنْهَا. 111وَرِثْتُ
شَهَادَاتِكَ إِلَى الدَّهْرِ، لأَنَّهَا هِيَ بَهْجَةُ قَلْبِي. 112عَطَفْتُ قَلْبِي لأَصْنَعَ فَرَائِضَكَ إِلَى الدَّهْرِ إِلَى النِّهَايَةِ.

س

113الْمُتَقَلِّبِينَ أَبْغَضْتُ، وَشَرِيعَتَكَ أَحْبَبْتُ. 114سِتْرِي وَمِجَنِّي أَنْتَ. كَلاَمَكَ انْتَظَرْتُ. 115انْصَرِفُوا
عَنِّي أَيُّهَا الأَشْرَارُ فَأَحْفَظَ وَصَايَا إِلَهِي. 116اعْضُدْنِي حَسَبَ قَوْلِكَ فَأَحْيَا، وَلاَ تُخْزِنِي مِنْ رَجَائِي. 117أَسْنِدْنِي
فَأَخْلُصَ وَأُرَاعِيَ فَرَائِضَكَ دَائِماً. 118احْتَقَرْتَ كُلَّ الضَّالِّينَ عَنْ فَرَائِضِكَ، لأَنَّ مَكْرَهُمْ بَاطِلٌ. 119كَزَغَلٍ
عَزَلْتَ كُلَّ أَشْرَارِ الأَرْضِ، لِذَلِكَ أَحْبَبْتُ شَهَادَاتِكَ. 120قَدِ اقْشَعَرَّ لَحْمِي مِنْ رُعْبِكَ، وَمِنْ أَحْكَامِكَ جَزِعْتُ.

ع

121 أَجْرَيْتُ حُكْماً وَعَدْلاً. لاَ تُسْلِمْنِي إِلَى ظَالِمِيَّ. 122كُنْ ضَامِنَ عَبْدِكَ لِلْخَيْرِ لِكَيْ لاَ يَظْلِمَنِي
الْمُسْتَكْبِرُونَ. 123كَلَّتْ عَيْنَايَ اشْتِيَاقاً إِلَى خَلاَصِكَ، وَإِلَى كَلِمَةِ بِرِّكَ. 124اصْنَعْ مَعَ عَبْدِكَ حَسَبَ رَحْمَتِكَ،
وَفَرَائِضَكَ عَلِّمْنِي. 125عَبْدُكَ أَنَا. فَهِّمْنِي، فَأَعْرِفَ شَهَادَاتِكَ. 126إِنَّهُ وَقْتُ عَمَلٍ لِلرَّبِّ. قَدْ نَقَضُوا شَرِيعَتَكَ،
127لأَجْلِ ذَلِكَ أَحْبَبْتُ وَصَايَاكَ أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ، 128لأَجْلِ ذَلِكَ حَسِبْتُ كُلَّ وَصَايَاكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ
مُسْتَقِيمَةً. كُلَّ طَرِيقِ كَذِبٍ أَبْغَضْتُ.

في هذا الجزء نجد:

أولاً – تعب المرنم من أعدائه (آيات 81–96)

ثانياً – انتظار الإنقاذ الإلهي (آيات 97–112)

ثالثاً – المُضطهَد يحب الرب ويخدمه (آيات 113–128)

أولاً - تعب المرنم من أعدائه
(آيات 81-96)

1 - المرنم مضطهَد: (آيات 81–88).

(أ) طال اضطهاده: «تاقت نفسي إلى خلاصك. كلامك انتظرت. كلَّت عيناي من النظر لقولك، فأقول: متى تعزيني؟» (آيتا 81، 82). في شدة متاعب المرنم تاق إلى خلاص إلهه وانتظر الإنقاذ بصبر وشوق. وبسبب شدة انتظار المرنم للخلاص ضعُف وصار بلا قوة. ولكن بالرغم من هذا بقي ثابتاً، يتطلع إلى الله ويطالع كلمته العامرة بالمواعيد الثمينة. ولما لم تتحقق بسرعة سأل: «متى تعزيني؟». والإجابة الإلهية هي أن هناك ميعاداً لكل شيء يجب أن ينتظره، ولا بد أن يجيء الخلاص ولا يتأخر (حب 2: 3). وهو واثق أن منتظري الرب يجددون قوة (إش 40: 31).

(ب) صار كزق في الدخان: «لأني قد صرت كزقٍ في الدُّخَان، أما فرائضك فلم أنسها» (آية 83). الزق هو القربة التي يحفظون فيها الخمر. وتحتمل العبارة أحد معنيين: إما أن المرنم يشبِّه نفسه بقربة فارغة من الخمر عُلِّقت في السقف فاسودَّ لونها وجفت وتشققت من الدخان الناتج عن احتراق الأخشاب المستعملة للتدفئة والطهي، ففقدت منظرها وقيمتها، لأنها بلا استعمال.. أو أنه يشبِّه نفسه بالزق الذي وُضع فيه خمر وعُلِّق في الدخان ليصلح طعم الخمر الذي فيه. فيكون المعنى أن الله سمح باضطهاد المرنم ليُصلح من أمره. ومع أنه زق في الدخان إلا أنه لم ينس فرائض الرب، فرأى الخير الناتج من متاعبه، فإن «كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب 12: 11).

(ج) قِصر عمره: «كم هي أيام عبدك؟ متى تُجري حكماً على مضطهديَّ؟» (آية 84). يقول المرنم إن عمره القصير يجري سراعاً دون أن يرى إنقاذ الله وعقاب الأشرار. «أيام سنينا هي سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون» (مز 90: 10).

فإن قضى أغلبها مضطهَداً، فماذا سيبقى له؟ إنه خائف أن ينتهي عمره قبل أن ينجو من مضطهديه، ويسأل الله أن يصدر أحكامه العادلة عليهم حتى يدفعوا ثمن أخطائهم، فهو الديان العادل «المُجري حكماً للمظلومين.. الرب يطلق الأسرى» (مز 146: 7).

(د) شرور مضطهديه: «المتكبرون قد كَرَوْا لي حَفَائِر وذلك ليس حسب شريعتك. كل وصاياك أمانة. زوراً يضطهدونني. أعنِّي. لولا قليل لأفنوني من الأرض، أما أنا فلم أترك وصاياك. حسب رحمتك أحيني فأحفظ شهادات فمك» (آية 85-88). المتكبرون هم الذين لا يتواضعون تحت يد الرب القوية، ويقاومون تعاليمه، ويضعون العثرات في طريق الصدِّيقين ويحفرون لهم الحُفر. ولكن المرنم يدرك أن كل وصايا الله أمينة، تقوده إلى طرق آمنة، كما أنها أمانة في عنقه يجب أن يحفظها، ويعرف أن الرب أمين لوعوده، ولا بد أن ينقذ المضطهَدين المظلومين، فيقول: «من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليَّ» (مز 19: 13)، ويقول: «هيأوا شبكة لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدامي حفرة. وسقطوا في وسطها» (مز 57: 6). وهذا ما حدث مع إرميا الذي قال أعداؤه عنه: «هلم فنفكر على إرميا أفكاراً.. فنضربه باللسان ولكل كلامه لا نصغِ». فصلى: «أصغِ لي يا رب واسمع صوت أخصامي. هل يُجازى عن خير بشر؟ لأنهم حفروا حفرة لنفسي. اذكر وقوفي أمامك لأتكلم عنهم بالخير لأردَّ غضبك عنهم» (إر 18: 18-20). وعندما تدرك رحمة الله المرنم يقول: «أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك» (مز 13: 5).

2 - المضطهَد متعلِّق بالوصايا: (آيات 89-96).

(أ) لأنها ثابتة: «إلى الأبد يا رب كلمتك مثبَّتة في السماوات. إلى دور فدور أمانتك. أسَّست الأرض فثبَتَت. على أحكامك ثبتَت اليوم، لأن الكل عبيدك» (آيات 89-91). كلمة الله هي رسالة محبته للبشر، وهي ثابتة ثبوت محبة الله، لأنها جاءت من السماوات، وهي عالية مثل السماوات، ويحافظ عليها رب السماوات، ولا يمكن لأحد أن يغيِّر منها شيئاً. قال المسيح: «إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس» (مت 5: 18)، وقال أيضاً: «كلامي لا يزول» (مت 24: 35) وقال الرسول بطرس: «كل جسد كعشب، وكل مجد إنسان كزهر عشب. العشب يبس وزهره سقط، وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد» (1بط 1: 24، 25). وكل من يرى النجوم ثابتة في السماء، والأرض ثابتة في مدارها يعلم أن قوانين الله الطبيعية ثابتة لا تتغير، ويتأكد أن الله يحفظ كلمته فلا تعبث بها يد بشر كما كان لوحا الوصايا العشر محفوظين في تابوت العهد. ويحفظ الله وعوده لأتقيائه فلا يستطيع عدو أن يؤذيهم لأنهم متمسكون بها.

(ب) لأنها محيية: «لو لم تكن شريعتك لذتي لهلكْتُ حينئذ في مذلتي. إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتني. لك أنا فخلِّصني لأني طلبت وصاياك. إياي انتظر الأشرار ليهلكوني. بشهاداتك أفطن» (آيات 92-95). اجتمع الأعداء على المؤمن المضطهَد وافتروا عليه كل كذب. وكان يمكن أن يهلكوه لولا أنه تمسك بشريعة الرب وثبت في طمأنينة الوعود الإلهية، فصارت كلمة الله الحية سبب حياة روحية وجسدية له. كان الأشرار يجدون لذَّتهم في شرورهم، ولكنه اختبر اللذة والشبع والسرور في كلمة الله التي طلبها وتمسك بها ولم ينسها، فملأت نفسه بالطمأنينة، وجعلته واثقاً في إلهه يطلب منه الخلاص والإنقاذ بناءً على وعوده الصالحة. «عند كثرة همومي في داخل تعزياتك تلذذ نفسي» (مز 94: 19). عندما يمرض المؤمن أو يصيبه الألم أو يفقد عزيزاً يلجأ إلى الكلمة المعزية، ويقول: «إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مز 23: 4). وعندما يشعر بالوحدة بالرغم من كثرة الموجودين حوله يجد الرب ملجأ وحصناً، فيقول: «طلبت إلى الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني» (مز 34: 4)، لأنه يثق في وعد المسيح: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 28: 20). لقد أطاع المرنم وصية الرب: «فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها إنسان يحيا. أنا الرب» (لا 18: 5)، ووصية الحكيم: «يا ابني لا تنسَ شريعتي، بل ليحفظ قلبك وصاياي» (أم 3: 1)، فتحقق له الوعد: «لأنه تعلق بي أنجيه. أرفِّعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي» (مز 91: 14-16).

(ج) لأنها واسعة: «لكل كمال رأيت حداً، أما وصيتك فواسعة جداً» (آية 96). كل أمجاد الإنسان وغناه وحكمته وقوته محدودة وسريعة الزوال، وكل كمال إنساني ناقص، ولا يوجد شيء في أرضنا وصل حدَّ الكمال، ولكل قرار نتَّخذه حسنات وسيئات. ويقول الوحي: «إنما باطل بنو آدم. كذب بنو البشر. في الموازين هم إلى فوق» (مز 62: 9). أما كلمة الله فمُحكمة لا نقص فيها، وسعت كل ما يخص حياتنا الإيمانية، فقد أعلنت لنا طريق الخلاص بوضوح، وعلَّمتنا كيف تكون لنا صلة شخصية بالله. إنها ترينا شروط الحصول على الغفران وشروط استجابة الصلاة. صدَقَ المرنم: «أحكامك لجَّة عظيمة» (مز 36: 6)، وما أحوجنا إلى وعد الله: «أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز 32: 8). إن كنت تخاف من الشهادة للمسيح فإن الكلمة تعطيك الإلهام والشجاعة، وإن كنت تخاصم من أساء إليك ترشدك كيف تتصالح معه، وإن كنت مهموماً تفتح لك

طريق الفرح، وإن كنت تمر بضائقة مالية تطمئنك أن لك عند إلهك مخرجاً. في كل موقف تجد أن كلمة الله واسعة جداً. وعظيم هو المؤمن الذي يدرس الكلمة، وبائس من يهملها، فالكتاب المقدس يبعدك عن الخطية، والخطية تبعدك عنه.

ثانياً - انتظار الإنقاذ الإلهي

(آيات 97-112)

1 - بأن منحه حكمة التصرُّف: (آيات 97-104).

(أ) حكمة متزايدة: «كم أحببت شريعتك! اليوم كله هي لهجي. وصيتك جعلتني أحكم من أعدائي، لأنها إلى الدهر هي لي. أكثر من معلمي تعقَّلت، لأن شهادتك هي لهجي. أكثر من الشيوخ فطنت لأني حفظت وصاياك» (آيات 97-100). لم يقدر المرنم أن يصف عمق محبته لكلمة الله فقال: كم أحببت! كانت محبته لكلمة الله صدى محبة الرب له وجمال وكمال إعلاناته «أما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء» (1تي 1: 5). وقد انتظر المرنم إنقاذ الرب لأنه منحه الحكمة، فصار أحكم وأعقل وأفطن من كل أعدائه مجتمعين. كانوا في الظاهر أقوى منه، لكن الحقيقة هي أنه صار أقوى منهم لأن «شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً» (مز 19: 7). صار المرنم أكثر تعقلاً ممن علموه فنون الحرب بعد أن درس الكلمة، وأصبح أكثر فطنة من الشيوخ الذين علمتهم الحياة وعركتهم، لأن وصايا الله كانت كتابه المدرسي، والرب نفسه هو معلمه، فجاءته الحكمة من مصدر أعلى. قال المسيح: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» (لو 10: 21). وقال الرسول يعقوب: «إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيِّر، فسيُعطى له» (يع 1: 5).

(ب) حكمة البُعد عن الشر: «من كل طريق شرٍ منعت رجليَّ لكي أحفظ كلامك. عن أحكامك لم أمِل لأنك أنت علَّمتني» (آيتا 101، 102). لكي ينقذ الله التقي المضطهَد من مضطهديه جعله يبتعد عن الشر، لأن الشر يضعف القوي، وهو الثغرة التي ينفذ إليه العدو من خلالها. لقد منع المرنم رجليه عن طريق الأشرار، ولم يمِل عن الطريق المستقيم لأن الله علمه: «لا تمل يَمْنَة ولا يَسْرَة. باعد رجلك عن الشر» (أم 4: 27)، فقال: «بكلام شفتيه أنا تحفَّظت من طرق المعتنف» (مز 17: 4). وصلى: «علمني يا رب طريقك، أسلك في حقك» (مز 86: 11).

(ج) حكمة التلذُّذ بالكلمة: «ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي، من وصاياك أتفطن، لذلك أبغضت كل طريق كذب» (آيتا 103، 104). لكي ينقذ الله المؤمن المضطهَد منحه معرفة جمال كلمة الرب. إنها الموسيقى السماوية التي تبدو كل موسيقى العالم أمامها نشازاً. ولم يستمع المرنم فقط إلى الكلمة، بل تغذى بها وتلذذ وشبع، فأبغض كل طريق كذب، لأنه «إذا دخلت الحكمة قلبك ولذَّت المعرفة لنفسك فالعقل يحفظك والفهم ينصرك» (أم 2: 10، 11). وأعطته الكلمة قلباً صالحاً فأبغض الكذب لأنه طريق خاطئ، حتى إن ظهر لكثيرين أنه نافع.

2 - بأن نوَّر عليه: (آيات 105-112).

(أ) نور الكلمة: «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (آية 105). ينقذ الرب المرنم بأن يشرق عليه بالنور، ويمنحه مصباحاً (سراجاً)، لأن «الوصية مصباح والشريعة نور» (أم 6: 23)، ويكون عنده طريق (سبيل) تسير فيه قدماه، فيهديه إلى سبل البر من أجل اسمه (مز 23: 3). وبالمصباح يستنير «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف 5: 8). وبهذا يتأكد أنه يسير واثقاً مطمئناً في طريق الرب الذي يرشده. ونحن نضيء السراج ليلاً، والليل وقت المتاعب والاضطهادات «وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم» (2بط 1: 19). ونحن نستنير بالكلمة المكتوبة، كما نستنير بالكلمة الحي، فقد قال المسيح: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو 8: 12).

(ب) نور الأمانة: «حلفت فأبَرُّه: أن أحفظ أحكام برك. تذللت إلى الغاية. يا رب أحيني حسب كلامك» (آيتا 106، 107). عندما يستنير المؤمن بكلمة الله يبر بأقسامه وينفذها ويدافع عن صحتها، ويضع نفسه تحت التزاماتها فيتمم ما تعهد به. «يحلف للضرر ولا يغيِّر» (مز 15: 4) بمعنى أنه ينفذ وعوده حتى لو عاد هذا عليه بالضرر. لقد حلف المرنم وتعهد أن يكون مطيعاً لله، واحتمل في سبيل هذه الطاعة كل اضطهاد وتعب، وهو يطلب من إلهه أن يعينه ليحيا بالأمانة، مهما كانت التكلفة، فيحيا حسب كلمة الرب، مطيعاً للأمر: «اذبح لله حمداً، وأوفِ العليَّ نذورك» (مز 50: 14).

(ج) بالتعبُّد: «ارتضِ بمندوبات فمي يا رب، وأحكامك علمني. نفسي دائماً في كفي، أما شريعتك فلم أنسها. الأشرار وضعوا لي فخاً، أما وصاياك فلم أضلَّ عنها» (آيات 108-110). المندوبات هي ما يزيد عن مطالب الشريعة، وهي ذبائح الصلاة والتسبيح. لقد قام المرنم بما تطلبه الشريعة، ثم قدَّم عبادة غير مفروضة لأنه يحب الله. ولا زال يطلب من الله أن يعضده بروح منتدبة (مز 51: 12) وأن يعلِّمه المزيد من المندوبات ليقدمها بسرور ومحبة. كان اليهود يصلون ثلاث مرات في اليوم، وصلى المرنم ورنم دائماً في المواعيد المحددة، وزاد عليها، اعترافاً بإحسانات الرب، كما قيل: «خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كل إثم، واقبل حسناً فنقدم عجول شفاهنا» (هو 14: 12). «فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه. ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله» (عب 13: 15، 16). ولنردد مع الرسول بولس: «لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرحٍ سعيي، والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله» (أع 20: 24).

ولما كان المرنم عابداً بسرور ومنتدباً كرهه الأشرار ونصبوا له الفخاخ والأشراك. ولم يصبه هذا بأي يأس، بل زاده تمسُّكاً بشريعة إلهه، وهو يهتف: «مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم، إذ انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصياد. الفخ انكسر ونحن انفلتنا» (مز 124: 6، 7).

(د) نور الطاعة: «ورثتُ شهاداتك إلى الدهر لأنها هي بهجة قلبي. عَطَفْتُ قلبي لأصنع فرائضك إلى الدهر، إلى النهاية» (آيتا 111، 112). الميراث عزيز على الإنسان لأنه بركة من أبويه. وقد اعتزَّ المرنم بكلمة الله واعتبرها ميراثه الذي ناله بدون أن يتعب فيه، فلم يكن مستعداً أن يفرط فيه أبداً. وفي شرقنا من العار أن يضيع الإنسان ميراثه أو أن يبيعه. لقد كانت كلمة الله بهجة قلب المرنم لأنه أحبَّ قائلها، فحوَّل قلبه وعَطَفَهُ عن كل ما يعطل استمتاعه بها، وظل يفعل هذا إلى المنتهى. لم يسمح لعواطفه أن تقوده إلى اتجاه خاطئ، فتحكَّم عقله في عواطفه ووجَّهها إلى الصواب. لقد أحب ربَّه فأحب أيضاً وصاياه، لأنه يعلم أنه «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو 14: 23).

ثالثاً - المضطهَد يحب الرب ويخدمه

(آيات 113-128)

في هذه الآيات يعبِّر المرنم عن احتمائه في ستر القدير الذي أنقذه من الأشرار، ويعِد منقذه بأمرين:

1 - وعد أن يحب الله: (آيات 113-120).

(أ) بأن يبتعد عن الأشرار: «المتقلِّبين أبغضت، وشريعتك أحببت. ستري ومجني أنت، كلامك انتظرت. انصرفوا عني أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهي» (آيات 113-115). الأشرار متقلبون، ذوو رأيين، و«رجلٌ ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه» (يع 1: 8) نِصف قلبهم يتعبَّد للرب والنصف الآخر يتعبَّد للعالم. إنهم بحسب وصف النبي إيليا لهم «يعرجون بين الفرقتين» (1مل 18: 21)، وبحسب وصف المسيح لهم «يخدمون سيدين» (مت 6: 24). أما المرنم فيعلن محبته لله وتمسكه بكلمته، فقرر أن يبتعد عن الشر والأشرار، عملاً بالنصيحة «لا تضلوا، فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة» (1كو 15: 33). إنه يعلم أن الصحبة الشريرة تقود إلى الشر، و«طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مز 1: 1-3)، «لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة؟.. وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟» (2كو 6: 14، 15). وكل من يريد أن يركض حسناً يجب أن يطرح كل ثقل والخطية المحيطة به بسهولة (عب 12: 1).

(ب) بأن يزيد اعتماده على الله: «اعضُدني حسب قولك فأحيا، ولا تُخزِني من رجائي. اسندني فأخلُص وأراعي فرائضك دائماً. احتقرتَ كل الضالين عن فرائضك لأن مكرهم باطل. كزغلٍ عزلت كل أشرار الأرض، لذلك أحببت شهاداتك. قد اقشعرَّ لحمي من رعبك، ومن أحكامك جزعتُ» (آيات 116-120). اعتمد المرنم على الرب الذي أحبَّه، وطلب منه أن يزيد اعتماده عليه، وعبَّر عن هذا بثلاث طلبات: «**اعضدني**» (آية 116) بمعنى دعِّمني وأيِّدني، لأنه انتظر نعمة الله التي تكفيه. وقال: «**لا تخزني**» (آية 116) لأنه يرجوه وينتظره، والذين «نظروا إليه استناروا ووجوههم لم تخجل» (مز 34: 5). وقال: «**اسندني**» (آية 117) أي قف إلى جواري وارفعني حتى أحيا لك و«الرب يقوِّم المنحنين. الرب يحب الصدِّيقين» (مز 146: 18). و«في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37).. وعبَّر عن رغبته في زيادة الاعتماد على الرب بثلاثة عهود: «**أراعي**» (آية 117) أي أن يلتفت إلى فرائض الرب ويقول: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت» (مز 40: 8). «**أحببتُ**» (آية

119) فيكون اعتماده على الله حباً ورغبةً «أحبك يا رب يا قوتي.الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي» (مز 18: 1، 2). «**اقشعرَّ لحمي.. جزعــتُ**» (آية 120) فقد انتفض هلعاً وارتعب من غضب الله على الأشرار، لأنه «من يقــف أمــام الرب الإله القدوس هذا؟» (1صم 6: 20). وهذا الخوف المقدس من علامات التقوى، كما قال حبقوق: «يا رب قد سمعت خبــرك فجزعت.. سمعت فارتعدت أحشائي. من الصوت رجفت شفتاي» (حب 3: 2، 16).. وفي زيادة اعتماده على الله علم أن الله يفعل أمرين: «**احتقرتَ كل الضالين**» (آية 118) فالرب يحتقر الذين يحتقرون شريعته، وسيكون نصيبهم العار والازدراء الأبدي (دا 12: 2). «**عزلت كل أشرار الأرض**» (آية 119) أي جعلت فاصلاً بين الأشرار والأبرار هنا في الدنيا، وكذلك في الآخرة، كمــا قــال المسيح: «في وقت الحصاد أقول للحصادين: اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزماً ليُحرَق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني» (مت 13: 30).

2 - الوعد بخدمة الله: (آيات 121-128).

وصف المرنم نفسه بلقب «عبدك» ثلاث مرات (آيات 122، 124، 125) وهو يعد أن يكون له خادماً أميناً.

(أ) يخدم بإجراء العدل: «أجريتُ حكماً وعدلاً، لا تُسلِمْني إلى ظالميَّ. كن ضامناً عبدك للخير لكــيلا يظلمنــي المستكبرون. كلَّت عيناي اشتياقاً إلى خلاصك وإلى كلمة برك» (آيات 121-123). خدمة المجتمع هي خدمة لله، ومن يرحم الفقير يقرض الرب (أم 19: 17). والمرنم عبدٌ للرب، يفعل ما يأمر به الرب، ويتمثَّل بإلهه في إجراء العدل وعمل الخير. فإن كان داود هو صاحب هذه الكلمات يكون تقييمه لنفسه صحيحاً، لأن الوحي وصفه بالقول: «وملك داود على جميع إسرائيل، وكان داود يُجري قضاءً وعدلاً لكل شعبه» (2صم 8: 15). ويطالب المرنم أن يعامله الرب بمثل ما عامل هو به الآخرين، فيحكم لــه بالعــدل ولا يسلِّمه لظالميه، ويدعوه أن يكون ضامنه للخير حتى يستمر في عمل الخير، وحتى لا يناله ظلم الظالمين، كما قال المرنم: «اصــنع معي آية للخير فيرى ذلك مبغضيَّ فيخزوا، لأنك أنت يا رب أعنتني وعزيتني» (مز 86: 17) وكما قال أيوب «كن ضامني عنــد نفسك» (أي 17: 3). لقد تعلَّقت عينا المرنم بإله خلاصه، وظل يتطلَّع إليه منتظراً كلمته العادلة المنصفة حتى أُرهقَت عينــاه مــن التطلع وانتظار تحقيق الوعد الإلهي له.

(ب) يخدم بالعمل للرب: «اصنع مع عبدك حسب رحمتك، وفرائضك علِّمني. عبدك أنا. فهِّمني فأعرف شهاداتك. إنه وقت عمل للرب. قد نقضوا شريعتك» (آيات 124-126). إنه «وقت عمل للرب» يدافع الرب فيه عن كلمته ويعمل وســطنا، وهو أيضاً الوقت المناسب ليعمل فيه المرنم للرب لأنه عبده الذي يريد أن يخدمه. ولم يقُل المرنم: «قد نقضوا شريعتك. إنه وقــت عمل للرب»، لأنه كان يركز عينيه على الرب أولاً، ثم على انتظاره أن يعمل الرب فيه بعد ذلك ليصلح الفساد الناتج عــن نقــض الشريعة. لم ينظر أولاً إلى الجانب المظلم من نقض الشريعة، بل نظر أولاً إلى إشراق عمل الله فيه وبواسطته، فأعلن وعده بخدمة الرب بكل تواضع، واعترف ببطء تفكيره، وسأل أن يطيل الله أناته عليه وهو يعلمه الفرائض ويفهِّمه الإعلانات الإلهية، وســأل أن يكون الرب رحيماً معه ليعيش الوصايا ويحياها قبل أن يؤدي خدمته للرب. ولم ير في نفسه استحقاقاً ولا قدرة، لكنه رأى الاحتياج الشديد، فقدَّم نفسه لخدمة الله بكل وداعة. فلنتعلم من المرنم الخدمة، وروح الخدمة، ونحن نسمع الرب يقول لنا: «يا ابنــي اذهــب اليوم اعمل في كرمي» (مت 21: 28).

(ج) يخدم بالحياة التقيـة: «لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. لأجل ذلك حسبتُ كل وصــاياك في كل شيء مستقيمة. كل طريق كذبٍ أبغضتُ» (آيتا 127، 128). بينما المرنم يفكر في خدمة الله ويعد أن يقــوم بهــا رأى أن أساس الخدمة الناجحة المثمرة هو الحياة التقية، فيطيع الله طاعة كاملة قبل كل شيء، ويحب كلمته أكثر من محبته للمكسب، لأنهــا مستقيمة تجعل حياته صدقاً وحقاً بلا كذب ولا نفاق. وهي واجبة الطاعة، فيعمل المرنم بالكلمة ولا يكون سامعاً فقط خادعــاً نفســه (يع 1: 22).

الجزء الرابع
الرب إله الانتصار
(آيات 129-176)

ف

129 عَجِيبَةٌ هِيَ شَهَادَاتُكَ، لِذلِكَ حَفِظَتْهَا نَفْسِي. 130فَتْحُ كَلاَمِكَ يُنِيرُ، يُعَقِّلُ الْجُهَّالَ. 131فَغَرْتُ فَمِي
وَلَهَثْتُ، لأَنِّي إِلَى وَصَايَاكَ اشْتَقْتُ. 132اِلْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي كَحَقِّ مُحِبِّي اسْمِكَ. 133ثَبِّــتْ خَطَــوَاتِي فِــي

كَلِمَتِكَ، وَلاَ يَتَسَلَّطْ عَلَيَّ إِثْمٌ. 134افْدِنِي مِنْ ظُلْمِ الإِنْسَانِ، فَأَحْفَظَ وَصَايَاكَ. 135أَضِيءْ بِوَجْهِكَ عَلَى عَبْدِكَ وَعَلِّمْنِي فَرَائِضَكَ. 136جَدَاوِلُ مِيَاهٍ جَرَتْ مِنْ عَيْنَيَّ لأَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَظُوا شَرِيعَتَكَ.

ص

137 بَارٌّ أَنْتَ يَا رَبُّ، وَأَحْكَامُكَ مُسْتَقِيمَةٌ. 138عَدْلاً أَمَرْتَ بِشَهَادَاتِكَ، وَحَقّاً إِلَى الْغَايَةِ. 139أَهْلَكَتْنِي غَيْرَتِي، لأَنَّ أَعْدَائِي نَسُوا كَلاَمَكَ. 140كَلِمَتُكَ مُمَحَّصَةٌ جِدّاً، وَعَبْدُكَ أَحَبَّهَا. 141صَغِيرٌ أَنَا وَحَقِيرٌ، أَمَّا وَصَايَاكَ فَلَمْ أَنْسَهَا. 142عَدْلُكَ عَدْلٌ إِلَى الدَّهْرِ، وَشَرِيعَتُكَ حَقٌّ. 143ضِيقٌ وَشِدَّةٌ أَصَابَانِي، أَمَّا وَصَايَاكَ فَهِيَ لَذَّاتِي. 144عَادِلَةٌ شَهَادَاتُكَ إِلَى الدَّهْرِ. فَهِّمْنِي فَأَحْيَا.

ق

145 صَرَخْتُ مِنْ كُلِّ قَلْبِي. اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ. فَرَائِضَكَ أَحْفَظُ. 146دَعَوْتُكَ. خَلِّصْنِي فَأَحْفَظَ شَهَادَاتِكَ. 147تَقَدَّمْتُ فِي الصُّبْحِ وَصَرَخْتُ. كَلاَمَكَ انْتَظَرْتُ. 148تَقَدَّمَتْ عَيْنَايَ الْهُزُعَ لِكَيْ أَلْهَجَ بِأَقْوَالِكَ. 149صَوْتِيَ اسْتَمِعْ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. يَا رَبُّ، حَسَبَ أَحْكَامِكَ أَحْيِنِي. 150اقْتَرَبَ التَّابِعُونَ الرَّذِيلَةَ. عَنْ شَرِيعَتِكَ بَعُدُوا. 151قَرِيبٌ أَنْتَ يَا رَبُّ، وَكُلُّ وَصَايَاكَ حَقٌّ. 152مُنْذُ زَمَانٍ عَرَفْتُ مِنْ شَهَادَاتِكَ أَنَّكَ إِلَى الدَّهْرِ أَسَّسْتَهَا.

ر

153 اُنْظُرْ إِلَى ذُلِّي وَأَنْقِذْنِي، لأَنِّي لَمْ أَنْسَ شَرِيعَتَكَ. 154أَحْسِنْ دَعْوَايَ وَفُكَّنِي. حَسَبَ كَلِمَتِكَ أَحْيِنِي. 155الْخَلاَصُ بَعِيدٌ عَنِ الأَشْرَارِ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَمِسُوا فَرَائِضَكَ. 156كَثِيرَةٌ هِيَ مَرَاحِمُكَ يَا رَبُّ. حَسَبَ أَحْكَامِكَ أَحْيِنِي. 157كَثِيرُونَ مُضْطَهِدِيَّ وَمُضَايِقِيَّ، أَمَّا شَهَادَاتُكَ فَلَمْ أَمِلْ عَنْهَا. 158رَأَيْتُ الْغَادِرِينَ وَمَقَتُّ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَظُوا كَلِمَتَكَ. 159انْظُرْ أَنِّي أَحْبَبْتُ وَصَايَاكَ. يَا رَبُّ، حَسَبَ رَحْمَتِكَ أَحْيِنِي. 160رَأْسُ كَلاَمِكَ حَقٌّ، وَإِلَى الدَّهْرِ كُلُّ أَحْكَامِ عَدْلِكَ.

ش

161رُؤَسَاءُ اضْطَهَدُونِي بِلاَ سَبَبٍ، وَمِنْ كَلاَمِكَ جَزِعَ قَلْبِي. 162أَبْتَهِجُ أَنَا بِكَلاَمِكَ كَمَنْ وَجَدَ غَنِيمَةً وَافِرَةً. 163أَبْغَضْتُ الْكَذِبَ وَكَرِهْتُهُ، أَمَّا شَرِيعَتُكَ فَأَحْبَبْتُهَا. 164سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي النَّهَارِ سَبَّحْتُكَ عَلَى أَحْكَامِ عَدْلِكَ. 165سَلاَمَةٌ جَزِيلَةٌ لِمُحِبِّي شَرِيعَتِكَ، وَلَيْسَ لَهُمْ مَعْثَرَةٌ. 166رَجَوْتُ خَلاَصَكَ يَا رَبُّ، وَوَصَايَاكَ عَمِلْتُ. 167حَفِظَتْ نَفْسِي شَهَادَاتِكَ، وَأُحِبُّهَا جِدّاً. 168حَفِظْتُ وَصَايَاكَ وَشَهَادَاتِكَ، لأَنَّ كُلَّ طُرُقِي أَمَامَكَ.

ت

169 لِيَبْلُغْ صُرَاخِي إِلَيْكَ يَا رَبُّ. حَسَبَ كَلاَمِكَ فَهِّمْنِي. 170لِتَدْخُلْ طِلْبَتِي إِلَى حَضْرَتِكَ. كَكَلِمَتِكَ نَجِّنِي. 171تُنَبِّعُ شَفَتَايَ تَسْبِيحاً إِذَا عَلَّمْتَنِي فَرَائِضَكَ. 172يُغَنِّي لِسَانِي بِأَقْوَالِكَ، لأَنَّ كُلَّ وَصَايَاكَ عَدْلٌ. 173لِتَكُنْ يَدُكَ لِمَعُونَتِي، لأَنَّنِي اخْتَرْتُ وَصَايَاكَ. 174اشْتَقْتُ إِلَى خَلاَصِكَ يَا رَبُّ، وَشَرِيعَتُكَ هِيَ لَذَّتِي. 175لِتَحْيَ نَفْسِي وَتُسَبِّحَكَ، وَأَحْكَامُكَ لِتُعِنِّي. 176ضَلَلْتُ كَشَاةٍ ضَالَّةٍ. اطْلُبْ عَبْدَكَ لأَنِّي لَمْ أَنْسَ وَصَايَاكَ.

في هذا الجزء نجد:

أولاً – المرنم يطلب الحياة المنتصرة (آيات 129–144)

ثانياً – المرنم يحيا الحياة المنتصرة (آيات 145–160)

ثالثاً – ثمرتان للحياة المنتصرة (آيات 161– 176)

أولاً - المرنم يطلب الحياة المنتصرة

(آيات 129-144)

1- لأن الكلمة شجعته على ذلك: (آيات 129-131).

ذكر المرنم ثلاثة أوصاف لكلمة الله التي أعانته ليحيا الحياة المنتصرة:

(أ) هي عجيبة: «عجيبة هي شهاداتك، لذلك حفظتها نفسي» (آية 129). طالع المرنم كتابات الأمم من حوله، ثم طالع توراة موسى، فرأى الفرق الشاسع بين ما قرأ من كتابات بشرية وبين الإعلان الإلهي الذي رآه فائقاً لأن الله مصدره، ولأنه يوضح محبة الله للبشر، ولأن تأثيره عميق وفعال، فإن كلمة الله تخترق أعماق الإنسان وتبكته على خطاياه. فإن تاب تؤكد له خلاصه وتعزيه وتشجعه، وهي كنز ثمين يجب حفظه في القلب، فتنتصر المؤمن فلا يخطئ إلى الله (مز 119: 11).

(ب) هي منيرة: «فَتْح كلامك ينير، يعقِّل الجهّال» (آية 130). كان المرنم يفتح كلمة الله يومياً ويدرسها، فاستنارت عيناه ونال نوراً وفهماً، وعرف أن يفرِّق بين الخير والشر، وحدَّد لنفسه المسار السليم في الحياة. وهذا ما حدث مع تلميذي عمواس عندما التقى المسيح بهما، وفتح ذهنهما ليعرفا الكتب، فانفتحت أعينهما وعرفاه «فقال بعضهما لبعض: ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟» (لو 24: 32).

(ج) هي مشبعة: «فغرتُ فمي ولهثتُ لأني إلى وصاياك اشتقتُ» (آية 131). كلمة الله للمؤمن المبتدئ مثل اللبن العقلي العديم الغش (1بط 2: 2)، وهي مثل الغذاء المشبع للمؤمن المتقدِّم في إيمانه، كما قال النبي إرميا: «وُجِد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي» (إر 15: 16)، وكما اختبر النبي حزقيال عندما قال الرب له: «كُل ما تجده.. ففتحت فمي فأطعمني.. فصار في فمي كالعسل حلاوة» (حز 3: 1-3). وعندما شبع المرنم من كلمة الرب تقوَّى إيمانه واستطاع أن يحيا حياة الانتصار.

2- لأن المرنم يريد ذلك: (آيات 132-138).

كان قلب المرنم مشتاقاً للحياة المنتصرة، وطلب خمسة أمور تنصره على الإثم:

(أ) رحمة الله: «التفِت إليَّ وارحمني كحقِّ محبي اسمك» (آية 132). لا يوجد انتصار للمؤمن إن لم يدركه الله برحمته. وتحل رحمة الله على كل من يحب الاسم الحسن ويدعوه: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو 18: 13).

(ب) طاعة الله: «ثبِّت خُطواتي في كلمتك، ولا يتسلط عليَّ إثم» (آية 133). ترك المسيح للمؤمنين مثالاً لكي يتَّبعوا خُطواته (1بط 2: 21)، وأعلن لهم خطوات سلوكهم في كلمته المقدسة. فإن هم سلكوا طريق الكلمة الحي، وكلمته المكتوبة ينتصرون على الإثم الذي يهاجمهم من خارج نفوسهم ومن داخلها. وإن سقط أحدهم وارتكب إثماً فإن كلمة الله تكشف له الخطأ وترشده إلى طريق الانتصار، لأن «مِن قِبَل الرب تتثبت خطوات الإنسان.. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده» (مز 37: 23، 24).

(ج) الفداء الإلهي: «افدني من ظلم الإنسان فأحفظَ وصاياك» (آية 134). الفداء هو العتق والفك من الأسر والعبودية. وكل خاطئ مستعبَد لخطاياه أو لظلم أخيه الإنسان لا ينتصر إلا بالفداء أو الفكاك الذي يقوم به الوليُّ الأقرب، كما قالت شريعة موسى (را 4: 6). ويعجز الإنسان أن يفدي نفسه لأنه أسير، فلا يفدي المؤمن إلا الله «فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يُعاقب» (مز 34: 22)، وفاديهم من ظلم الإنسان فيقولون: «لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا، إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا» (مز 124: 2، 3).

(د) الرضا الإلهي: «أضئ بوجهك على عبدك وعلِّمني فرائضك. جداول مياه جرت من عينيَّ لأنهم لم يحفظوا شريعتك» (آيتا 135، 136). طلب المرنم من الرب أن يضيء الظلمة المحيطة به بنور رضاه، كما قال: «أضئ بوجهك على عبدك. خلِّصني برحمتك» (مز 31: 16). وعندما يرضى الرب على المؤمن يعلِّمه من كلمته، فيدرك مقدار عظمة محبة الله للخطاة، وكم هي فائقة المعرفة، فينتصر على كراهيته للظالم الذي يضطهده ويبكي على الخطاة البعيدين كما قال إرميا: «سكبت عيناي ينابيع ماء على سحق بنت شعبي» (مرا 3: 48)، وكما بكى المسيح على أورشليم، وقال لها: «لو علمتِ أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك» (لو 19: 42، 43).

(هـ) العدل الإلهي: «بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة. عدلاً أمرت بشهاداتك وحقاً إلى الغاية» (آيتا 137، 138). بعد أن تألم المرنم وبكى على ضلال الخطاة، طلب أن يسود العدل الإلهي مجتمعه وعالمه، لأن الله بار، وكلمته حق وعدل، وهو يبرر التائب اللاجئ إلى مراحمه. لقد تشجَّع وطلب الانتصار لأن الله لا يمنع التعزية عن البار، بل يعلمه البر والاستقامة. «إن

علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه» (1يو 2: 29). ويقول المرنم إن الله يريد له الانتصار، وهو يريد أن يسير في طاعة الرب، لأن إرادة الله هي قداستكم (1تس 4: 3).

(3) لأنه غيور ضد الشر: (آيات 139-144).

(أ) غيرته سببت له المتاعب: «أهلكتني غيرتي لأن أعدائي نسوا كلامك. كلمتك ممحَّصة جداً وعبدك أحبها. صغير أنا وحقير، أما وصاياك فلم أنسها» (آية 139-141). عندما رأى المرنم شر الأشرار غار على كلمة الله وعلى تنفيذ وصاياه وتوجَّع قلبه، كما غار المسيح وهو يرى بيت الله يتحوَّل إلى بيت تجارة وإلى مغارة لصوص، فقال: «غيرة بيتك أكلتني» (يو 2: 17). ولقد اعتبر المرنم من نسي كلام الله عدواً له لأنه عدوٌ لله ومبغضٌ لكلمته، مع أن الكلمة ممحَّصة أي أنها نقية كالذهب المصفى، لا زغل فيها مطلقاً «كلام الرب كلام نقي كفضة مصفاة في بوطة في الأرض ممحوصة سبع مرات» (مز 12: 6). ولأن المرنم حفظ الشريعة، صار صغيراً وحقيراً في أعين الناس، لكن هذا لم يعطله عن طاعة الله، وقد قال المسيح: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. العالم يحب خاصته.. لأنكم لستم من العالم.. لذلك يبغضكم العالم» (يو 15: 18، 19).

(ب) تمسَّك بالكلمة بالرغم من المتاعب: «عدلك عدل إلى الدهر وشريعتك حق. ضيق وشدة أصاباني أما وصاياك فهي لذاتي. عادلة شهاداتك. إلى الدهر فهِّمني فأحيا» (آيات 142-144). عدل الله لا يتغير كما أن الله ليس عنده تغيير ولا ظل دوران، وكلمته باقية إلى الدهر والأبد لأنها شريعة الحق التي لا تتغير. إنها شريعة للسلوك ومرشد للحياة وطريق للسعادة. وقد طلب المرنم بالرغم من كل المتاعب أن يفهم هذه الكلمة أكثر، بالرغم من أن طاعتها سبَّبت له الضيق والشدائد من الأشرار. إنه غيور ضد الخطأ، ولم يكن مستعداً أن يتنازل عن مبادئه ليحوز رضى الأشرار، فكان تمسكه بكلمة الله مصدر متاعب له. ونحن أيضاً يجب أن نطلب الفهم الروحي لكلمة الله، طاعةً للوصية الرسولية: «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلِّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب» (كو 3: 16).

ثانياً - المرنم يحيا الحياة المنتصرة
(آيات 145-160)

1 - المرنم حفظ الفرائض: (145-152).

(أ) حفظها لأنه صلى: «صرختُ من كل قلبي، استجب لي يا رب. فرائضك أحفظ. دعوتك. خلِّصني فأحفظ شهاداتك» (آيتا 145، 146). حفظ المرنم وصايا الله لأنه كان دائم الاتصال بإلهه في الصلاة. وكانت صلاته دعاء شخص يحب الرب من كل قلبه، ويخاف أن يرتكب معصية تُغضب حبيبه. وكان الدعاء أسلوب حياته فحفظ كلمة الله وعمل بها، وعاشها. إنه يصرخ من كل قلبه متضرعاً أن يسرع ربه إليه بالخلاص، فقد أراد أن يطيع الوصية، وكان قلبه موحَّداً في الطلبة، وكانت كل أشواقه مركزة في الإله الحي. وعندما نجاهد ونصرخ إلى الرب في الصلاة تتم لنا الغلبة، كما صارع يعقوب وقال: «لا أطلقك إن لم تباركني» (تك 32: 26). وينظر الله إلى قلب المصلي وإخلاصه، لا إلى عباراته المنمقة، ولا إلى طول صلاته ولا إلى عددها، فإن «مَن يحوِّل أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضاً مكرهة» (أم 28: 9). و«إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز 66: 18). فلنعتمد على نعمة الرب ونحن نصلي لننال الحياة المنتصرة.

(ب) حفظها لأنه استمر في الصلاة: «تقدَّمتُ في الصبح وصرخت. كلامك انتظرت. تقدمت عيناي الهُزُع لكي ألهج بأقوالك» (آيتا 147، 148). ربما كان كاتب هذا الجزء من مزمورنا كاهناً عليه مسؤولية في الهيكل، فكان يستيقظ مبكراً ليقوم بخدمته الدينية، وليصرخ طالباً حياة الطاعة والانتصار، وكانت عيناه تسبق أقسام الليل شوقاً للقيام بصلواته. وكان اليهود يقسمون الليل إلى ثلاثة أقسام، الهزيع الأول في أول الليل، والهزيع الثاني وهو الأوسط، والهزيع الثالث ويُسمّى هزيع الصبح. وكان الرومان يقسمون الليل إلى أربعة أقسام وهي مساءً، ونصف الليل، وصياح الديك، وصباحاً. ولم تكن عند المرنم وسيلة إيقاظ مما عندنا اليوم، فكان يوقظه هاتف داخلي هو أقوى من كل ساعة أو منبِّه، فكان يفتدي الوقت ليدرس كلمة الله ويصلي.

(ج) حفظها بالرغم من المقاومة: «اقترب التابعون الرذيلة. عن شريعتك بَعُدوا. قريبٌ أنت يا رب وكل وصاياك حق. منذ زمان عرفتُ من شهاداتك أنك إلى الدهر أسستها» (آيات 150-152). في هذه الآيات قُرب وبُعد. **اقترب** الأشرار من المرنم ليؤذوه لأنهم **بعدوا** عن شريعة الرب. فاقترب المرنم من الرب، لأنه **قريب**. وكل من يبتعد عن الله يقترب من البشر ليؤذيهم، ولكن المؤمن مطمئن لأن «الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق» (مز 145: 18). والتقي مطمئن لوصايا الله لأنها حق، وقد عرف وآمن أن الرب أسس مواعيده على أمانته، وفيها النعم والآمين لمجد الله (2كو 1: 20). وعرف

فائدة الشريعة منذ زمن، ولم تبعده كل الصعوبات عن حفظها «لأنه من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف.. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة.. تقدر أن تفصلنا عن محبة الله» (رو 8: 35-39).

2 - المرنم يستمر في حفظ الفرائض: (آيات 153-160).

(أ) لا ينساها حتى في الضيق: «انظُر إلى ذلي وأنقذني لأني لم أنسَ شريعتك. أحسِن دعواي وفُكني. حسب كلمتك أحيني. الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك» (آيات 153-155). سيظل المرنم يحفظ وصايا الله حتى لو قاومه الأشرار وأذلوه. وهو يعلم أن الله هو المحامي والمدافع عنه، فيقول مع النبي ميخا: «يُقيم دعواي ويُجري حقي. سيُخرجني إلى النور. سأنظر بره» (مي 7: 9). وهو يطلب أن يفكَّه الرب من أسر الخطاة الدائنين بأن يسدَّد ديونه ويطلقه حراً، ويطلب الحياة ذات القيمة التي وعد الله بها من يحبونه، فتكون له حياة ويكون له أفضل (يو 10: 10)، لأنه هو شفيعه. وهو يعلم أن الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائض الله التي التمسها هو، فصار الخلاص قريباً منه.

(ب) يطيعها لأن رحمة الله كثيرة: «كثيرةٌ هي مراحمك يا رب، حسب أحكامك أحيني. كثيرون مضطهديَّ ومضايقيَّ، أما شهاداتك فلم أمل عنها. رأيتُ الغادرين ومقتُّ، لأنهم لم يحفظوا كلمتك. انظُر أني أحببتُ وصاياك، يا رب حسب رحمتك أحيني. رأس كلامك حق، وإلى الدهر كل أحكام عدلك» (آيات 156-160). في هذه الآيات نجد كثرة مراحم الله الذي يحب المرنم ويحبه المرنم، كما نرى كثرة عدد الأشرار الذين يبغضون المرنم، ويبغض المرنم أفعالهم السيئة، فقال: «**كثيرة** هي مراحمك» (157) وقال: «**كثيرون** مضطهديَّ ومضايقيَّ» (158). ومن هذا نرى الرحمة تسبق الاضطهاد، كما أنها تتبع المؤمن، فيقول: «إنما خيرٌ ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي» (مز 23: 6). فالرحمة أمامه وخلفه لأنه تمسَّك بوصايا الله وشهاداته، فلم يعُد يخشى الاضطهادات، وسار في طريق الرب ثابتاً وهو يقول: «أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع» (أع 2: 25).

ونرى في هذه الآيات فعلين يظهران متناقضين، إذ يقول: «**مقتُّ** الغادرين» (158)، «**أحببتُ** وصاياك» (159). لكنهما ليسا متناقضين في الحقيقة لأن الذي يحب وصايا الله يكره شرور الغادرين ويحزن على من أحبوا الخطية ولم يحفظوا كلمة الله. لقد مقت قساوة قلوبهم ومقت الخطية بقدر ما أحب وصايا الله التي أحدثت كل التغيير في حياته.

وفي الآيتين 156، 159 يكرر المرنم الطلبة: «**أحيني** حسب أحكامك» و«حسب رحمتك **أحيني**» فهو يريد أن يحيا حسب أحكام الرب، ولكنه يعرف ضعفاته وهفواته، فيطلب أن يحيا حسب رحمة الرب. والحياة في الطلبتين عطية إلهية، حسب رحمة الله وحسب مواعيده الصالحة إذ «لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب» (يش 23: 15).

ثالثاً - ثمرتان للحياة المنتصرة

(آيات 161-176)

1- ثمرة السلام: (آيات 161-168).

(أ) سلام حتى وسط الاضطهاد: «رؤساء اضطهدوني بلا سبب، ومن كلامك جزع قلبي. أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة. أبغضتُ الكذب وكرهته، أما شريعتك فأحببتُها. سبع مرات في النهار سبَّحتك على أحكام عدلك» (آيات 161-164). يكره الأشرار الأتقياء ويضطهدونهم، وهو ما ظل المرنم يكرره طيلة هذا المزمور. اضطهده الرؤساء الذين وهبهم الرب السلطة، وأعطاهم الشريعة ليحكموا بالعدل، ولكنهم أساءوا استعمال سلطتهم واضطهدوه بلا سبب. غير أنه بقي في سلام رغم الاضطهاد، لأن الرب وقف معه وقواه، وكأنه يقول له: «لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك، يقول الرب» (إر 1: 8)، فجعل المرنم مواعيد الرب أمامه في كل حين، وأطاع الله أكثر من الناس عملاً بقول المسيح: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد.. بل.. خافوا من الذي بعد ما يقتل الجسد له سلطان أن يلقي في جهنم» (لو 12: 4، 5). وينشئ الإيمان بالكلمة في قلب التقي جزعاً وخوفاً مقدساً يحفظه من الشر، ويعزيه ويطمئنه وسط ضيقاته. وقد خلق هذا الاطمئنان لكلام الرب في قلب المرنم بهجة مثل الجندي الذي وجد غنيمة، فقال: «جعلتَ سروراً في قلبي أعظم من سرورهم إذ كثرت حنطتهم وخمرهم. بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز 4: 7، 8). لقد قال المسيح: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي» (يو 14: 23). وقد أحب المرنم شريعة ربه لأنها كاملة ترد النفس، فاختبر النقيضين: حب الكلمة والابتهاج بها، وبغض الكذب لأنه مكرهة الرب، وكان التقليد يفرض على اليهود أن يصلوا ثلاث مرات يومياً، في الصباح والظهر والمساء، أما المرنم فقد سبح الرب على أحكام بره سبع مرات، والسبع هو عدد الكمال.

(ب) سلام محبّي الشريعة: «سلامة جزيلة لمحبي شريعتك، وليس لهم معثرة. رجوتُ خلاصك يا رب، ووصاياك عملتُ. حفظت نفسي شهاداتك، وأُحبها جداً. حفظتُ وصاياك وشهاداتك لأن كل طرقي أمامك» (آيات 165-168). سلام الله جزيل، ليس نتيجة لمعاملة الناس للمؤمن، فإنهم يضعون له العثرات، لكن لأنه أحب كلمة الله وجد فيها طمأنينته وبهجته، فمتَّعه الله بوعد المسيح: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو 14: 27). ويزيد هذا السلام كل تقي نمواً في النعمة فيرجو دوماً خلاص الرب وينتظره. ويربط المرنم بين الرجاء والطاعة. وكلما كان الإيمان حياً زادت الثقة بما يُرجى والإيقان بالأمور التي لا تُرى، وزادت الطاعة انتظاراً لتحقيق الوعد «في طريق أحكامك يا رب انتظرناك» (إش 26: 8).

2- ثمرة الفرح: (آيات 169-176).

(أ) فرح استجابة صلاته: «ليبلُغ صراخي إليك يا رب. حسب كلامك فهِّمني. لتدخل طلبتي إلى حضرتك. ككلمتك نجِّني. تُنبِّع شفتاي تسبيحاً إذا علَّمتَني فرائضك. يغني لساني بأقوالك لأن كل وصاياك عدل» (آيات 169-172). يصرخ المرنم أولاً كطفل خائف يحتمي في أبيه، ثم يهدأ ويطلب أن يفهم أقوال أبيه ووعوده الأمينة. وهو يطلب أن تصل طلبته إلى المسامع الإلهية فتتحقق له الوعود بالنجاة، فيتم القول: «الرب أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتَّقوا الرب، وللمفكرين في اسمه» (ملا 3: 16). عند هذا «تنبِّع» شفتا المرنم وتفيضان بتسبيحات الشكر لكثرة ما ارتوى مما تعلمه من وصايا الرب، فيصير المرنم مثل أرض غمرتها المياه فارتوت بفيضٍ، وأخذت المياه تنبع منها، فأعطت بعد أن كانت تأخذ.

(ب) فرح نتيجة لطاعته: «لتكن يدك لمعونتي لأنني اخترت وصاياك. اشتقت إلى خلاصك يا رب، وشريعتك هي لذتي. لتحيَ نفسي وتسبحك، وأحكامك لتُعِنّي. ضللتُ كشاة ضالة. اطلب عبدك لأني لم أنس وصاياك» (آيات 173-176). ما أعظم فرح المؤمن المطيع وهو يسمع مدح الرب له. وقد ظهرت طاعة المرنم من أربع عبارات قالها:

(1) »لأني اخترت وصاياك« (آية 173). كان اختيار اتِّباع الوصايا أول أسباب الفرح، فقد نال معونة الرب التي زادته فرحاً وضمنت استمراره فيه. والله لا يجبر أحداً على طاعته «فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون» (يش 24: 15).

(2) »شريعتك هي لذَّتي« (آية 174). تلذَّذ المرنم بكلمة الله فأطاعها، وكان هذا مصدر فرح روحي عميق له. لما كانت شريعة الله لذته حقَّ له أن ينتظر خلاص الرب الموعود به في كلمة الله، والذي قال عنه الرسول بطرس: «ليس بأحد غيره (غير المسيح) الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أُعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلص» (أع 4: 12). وكل الذين وجدوا لذتهم في شريعة الله يحق لهم أن يفرحوا.

(3) »أحكامك لتُعنّي« (آية 175). كانت أحكام الله وأوامره مصدر معونة له ليعيش حياة الطاعة. وعندما ينفذ المؤمن أحكام الله، وتكون وعودها معونته في زمن الضيق، فيختبر الحياة المفرحة ذات المعنى والقيمة، وتطول أيامه على الأرض، لا بعددها بل بنوعيتها. وكل من تعينه أحكام الرب يختبر الحياة الأفضل التي جاءنا المسيح بها، فيقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 2: 20)، ويقول: «عرَّفتني سبُل الحياة، وستملأني سروراً مع وجهك» (أع 2: 28).

(4) »لم أنسَ وصاياك« (آية 176). في كل وقت ذكر المرنم وصايا الرب فزادته تلذُّذاً وفرحاً. ولكن من الغريب أن يختم مزموره بالقول: «ضللتُ كشاة ضالة. اطلُب عبدك لأني لم أنسَ وصاياك» فنتساءل: كيف يقول هذا، وقد قال إنه يحب الرب بكل قلبه، ويتمتع بسلامه وفرحه، ولم ينسَ وصاياه؟.. الحقيقة هي أن كل مؤمن تقي يدرك أنه ضعيفٌ معرَّضٌ للضلال في أي وقت. وما لم يلقِ بنفسه على نعمة الله فسيضل ولا يعرف كيف يرجع. إنه يذكر القول: «فمن يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (1كو 10: 12). «كلنا كغنم ضللنا» ونضل، ولكن الرب يقول: «أسأل عن غنمي وأفتقدها كما يفتقد الراعي قطيعه.. هكذا أفتقد غنمي وأخلِّصها.. وأُخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي وآتي بها إلى أرضها وأرعاها.. أرعاها في مرعى جيد. أنا أرعى غنمي.. وأطلب الضال، وأستردُّ المطرود، وأجبر الكسير، وأعصِب الجريح» (حز 34: 11-16). وبهذا يطمئن المؤمن أن الراعي الصالح لن يتركه، فهو يقول: «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد» (يو 10: 27-30).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِي صَرَخْتُ، فَاسْتَجَابَ لِي. 2يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي مِنْ شِفَاهِ الْكَذِبِ، مِنْ لِسَانِ غِشٍّ.
3مَاذَا يُعْطِيكَ، وَمَاذَا يَزِيدُ لَكَ لِسَانُ الْغِشِّ؟ 4سِهَامَ جَبَّارٍ مَسْنُونَةً مَعَ جَمْرِ الرَّتَمِ. 5وَيْلِي لِغُرْبَتِي فِي مَاشِكَ،
لِسَكَنِي فِي خِيَامِ قِيدَارَ! 6طَالَ عَلَى نَفْسِي سَكَنُهَا مَعَ مُبْغِضِ السَّلاَمِ. 7أَنَا سَلاَمٌ، وَحِينَمَا أَتَكَلَّمُ فَهُمْ لِلْحَرْبِ.

من الأرض البعيدة

مزمورنا أول خمسة عشر مزموراً (من 120-134) تُسمَّى «مزامير المصاعد» كان بنو إسرائيل يرتلونها في طريق حجِّهم كل سنة إلى أورشليم، عاصمتهم الدينية والسياسية، ليحتفلوا بعيد الفصح، وهو الاحتفال بعبور آبائهم البحر الأحمر ونجاتهم من عبودية فرعون. وسُمِّيت المصاعد بمعنى الارتقاء والارتفاع والصعود إلى جبل الرب حيث هيكله الذي بناه سليمان. وتنقسم هذه المزامير الخمسة عشر إلى مجموعتين، تتكوَّن كل مجموعة منها من سبعة مزامير يتوسطها مزمورٌ لسليمان.. خمسة من كل مجموعة لم يُذكر فيها اسم الكاتب، ومزموران لداود.

وذكر المفسرون خمسة احتمالات لمناسبة كتابتها:

1 - هي أناشيد الراجعين من سبي بابل بقيادة عزرا الكاتب، رنموها في طريق عودتهم وهم يتطلعون إلى الجبل الذي بُني عليه هيكل الله، كما قيل: «عزرا هذا صعد من بابل.. وصعد معه من بني إسرائيل.. في الشهر الأول ابتدأ يصعد من بابل، وفي أول الشهر الخامس جاء إلى أورشليم، حسب يد الله الصالحة عليه» (عز 7: 6-9).

2 - هي مزامير كان يرتلها اللاويون على خمس عشرة درجة سلم في الهيكل الثاني، كانت توصِّل بين دار النساء ودار الرجال. فكانوا يرنمون مزموراً على كل درجة من هذه الدرجات الخمس عشرة.

3 - هي مزامير ذكرى لاستجابة الله لصلاة الملك الصالح حزقيا، فأضاف إلى عمره خمس عشرة سنة، فكُتبت هذه المزامير الخمسة عشر احتفالاً بهذه السنوات الخمس عشرة (إش 38: 5، 8، 20).

4 - هي مزامير كان الحجاج يرتلونها أثناء صعودهم إلى أورشليم ليعيِّدوا ثلاث مرات في السنة، في الأعياد الثلاثة الرئيسية (لا 23) كما قيل: «تكون لكم أغنيةٌ، كليلة تقديس عيد، وفرح قلبٍ كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب» (إش 30: 29).

5 - هي معانٍ روحية للارتقاء الروحي، وهي دعوة عامة للمؤمنين في كل العصور لترتفع حياتهم الروحية وتسمو، محقِّقين الوصية الرسولية: «انموا في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح» (2بط 3: 18).

تبدأ مزامير المصاعد بمزمورنا، وهو صرخة متألم يعيش في بلد بعيد عن الهيكل، ويشتاق إلى الوقوف بأعتابه، يطلب فيه من الرب أن يرفع عنه ألم الغربة في الأرض البعيدة، ويرفعه ليعبده ويعيِّد له في هيكله. إنه متضايق من البُعد عن مكان العبادة، ومن سوء معاملة الأشرار. وهو يصعد بتفكيره إلى جذوره الروحية المشتاقة لعبادة إلهه الذي به يحيا ويتحرك ويوجد. ويعبِّر هذا المزمور عن أشواق كل مؤمن للتواجد في حضرة الله وعبادته، ولسان حاله: «يا الله إلهي أنت، إليك أبكِّر. عطشَت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرضٍ ناشفةٍ ويابسة بلا ماء» (مز 63: 1).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله يستجيب (آية 1)

ثانياً – شكوى من العدو (آيات 2-4)

ثالثاً – شكوى من الغربة (آيات 5-7)

أولاً – الله يستجيب
(آية 1)

«إلى الرب في ضيقي صرختُ، فاستجاب لي» (آية 1). في وقت الضيق تجزع النفس فتصرخ، كطفلٍ خائف يستنجد بأمه، فتطمئنه وتسرع إليه، كما صرخ بطرس لما رأى الريح شديدة وابتدأ يغرق، فصرخ: «يا رب، نجِّني» فمدَّ المسيح يده إليه وأمسك

به وأنقذه (مت 14: 30، 31). ويذكر المرنم المعيِّد ضيقاته في بلده البعيدة عن بيت الرب وكيف صلى، فاستجابه الرب وسمع شكواه. وفي نور هذه الاستجابة وما سبقها من اختبارات، طلب معونة جديدة، لأن نفسه ضاقت من أعدائه ومن غربته بعيداً عن بيت الرب. إنه متألم من وشايات الأشرار، يصرخ إلى الرب باتضاع وإيمان. وهو يعلم أن الرب لا بد سيسمعه فتعزى وتشجع، لأنه يقول: «ادعُني في يوم الضيق، أنقذك، فتمجِّدَني» (مز 50: 15)، فيقول: «بصوتي إلى الرب أصرخ، فيجيبني من جبل قُدسه» (مز 3: 4).

في الأرض البعيدة، بين الأشرار لاقى المرنم ضيقاً وسهاماً قاتلة، فاتَّجه إلى بيت الرب، حيث يسمع كلمته فيجد الرُحب، ويقول: «أتمشَّى في رُحب لأني طلبت وصاياك.. لكل كمال رأيت حداً، أما وصيتك فواسعة جداً» (مز 119: 45، 96). حقاً إن الرب «إله غفور وحنان ورحيم طويل الروح وكثير الرحمة» (نح 9: 17)، يرحِّب بالمرنم في مقدسه، ويستجيب له.

ثانياً – شكوى من العدو
(آيات 2-4)

1 – العدو يهاجم بلسانه: «يا رب، نجِّ نفسي من شفاه الكذب، من لسانٍ غشٍّ» (آية 2). ما أكثر الكذب والافتراء في عالمنا. قال المرنم عن الكاذبين: «لأن ليس في أفواههم صِدق. جوفهم هوَّة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها» (مز 5: 9) «يتكلمون كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة. بقلبٍ فقلبٍ يتكلمون. يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلم بالعظائم، الذين قالوا: بألسنتنا نتجبَّر. شفاهنا معنا. مَن هو سيدٌ علينا؟» (مز 12: 2-4). وقد يبرر الناس كذبهم بالقول إن هناك كذبة بيضاء، أو إنها كذبة صغيرة، ولكن الوصية الرسولية تقول: «اطرحوا عنكم الكذب، وتكلَّموا بالصدق كل واحد مع قريبه، لأننا بعضَنا أعضاءُ البعض» (أف 4: 25). ولسان الغش هو الذي يعوِّج المستقيم «الذي يدنِّس الجسم كله، ويضرِم دائرة الكون، ويُضرَم من جهنم.. هو شر لا يُضبَط، مملوٌّ سماً مميتاً» (يع 3: 6-9).

كانت هذه الشكوى لسان حال المسبيين في أرض الغربة وهم يحسون بالاضطهاد الشديد من الأغلبية التي تعبد الوثن من حولهم، وهم الأقلية يعبدون يهوه الإله الواحد الذي أمرهم أن يقولوا: «الرب إلهنا رب واحد» (مر 12: 29)، كما أن هذه الشكوى يمكن أن تعبِّر عن حال إنسان واحد في مكان معين يعاني من صعوبات معينة. وسواء كانت هذه شكوى فرد أو شكوى جماعة، فهي موضوع اهتمام الرب.

وقد اختبر المسيح ما اختبره المرنم المتألم، فقال للذين رفضوا تعليمه: «لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبُت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب. وأما أنا فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي» (يو 8: 43-45).

2 – الرب يعاقب لسان الغش: «ماذا يعطيك، وماذا يزيد لك لسان الغش؟ سهامَ جبّارٍ مسنونةً، مع جمر الرَّتَم» (آيتا 3، 4). في هاتين الآيتين يسأل المرنم الشرير: ما هي المجازاة التي تنتظرها من تلطيخ سمعة أخيك بالكلام الكاذب؟ ماذا ستستفيد؟ «ليس شيء خفي لا يُظهَر، ولا صار مكتوماً إلا ليُعلَن» (مر 4: 22). «كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرَّر وبكلامك تُدان» (مت 12: 36، 37). لا بد أن ترتد إلى الشرير سهام دينونة الله ونار عدالته. «الله قاضٍ عادل، وإلهٌ يسخط في كل يوم. إن لم يرجع (الشرير تائباً) يحدِّد (الرب) سيفه. مدَّ قوسه وهيَّأها، وسدَّد نحوه آلة الموت. يجعل سهامه ملتهبة» (مز 7: 11-13). «الذين صقلوا ألسنتهم كالسيف. فوَّقوا سهمهم كلاماً مُرّاً ليرموا الكامل في المختفَى بغتة. يرمونه ولا يخشون.. فيرميهم الله بسهم. بغتةً كانت ضربتهم. ويُوقِعون ألسنتهم على أنفسهم. يُنغِض الرأسَ كلُّ من ينظر إليهم» (مز 64: 3، 4، 7، 8)

ستصيب سهامُ الرب الجبار كلَّ شرير «مع جمر الرَّتَم». والرَّتم شجر كانوا يحرقون جذوره فيستمر اشتعالها مدة طويلة، ويحترق جيداً وبقوة. وهذا ما يصفه المرنم بقوله: «ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا» (مز 140: 10). كل من يهرب من الله يصيب نفسه بجمر الرَّتَم الملتهب الذي يستمر اشتعاله طويلاً، كما حدث لقايين بعدما قتل أخاه هابيل، فهرب من وجه الرب وسكن أرض نود (وهي كلمة عبرية تعني أرض البُعد والتعب).

يتألم المؤمن من شفاه الكذب ولسان الغش. ولكن الرب يُخرج كالنور برَّه، وحقَّه مثل الظهيرة (مز 37: 6). ويعينه على احتمال الكذب الذي لا بد سينكشف ويُعاقب، فالتجربة إلى ساعة، والنصر قادم لا شك فيه.. وكما جاءت قيامة المسيح بعد صليبه، لا بد أن يرتفع المؤمن فوق متاعبه.

ثالثاً – شكوى من الغربة
(آيات 5-7)

1 – هي غُربة في بلاد بعيدة: «ويلي لغُربتي في ماشِكَ، لسكني في خيام قيدار» (آية 5). ماشك هو ابن يافث (تك 10: 2)، ونسله شعب يسكن في ما يُعرَف الآن بغرب إيران وأرمينيا، وربما تكون ماشك هي موسكو الحالية في روسيا. وقيدار ابن إسماعيل الثاني (تك 25: 13) ونسله قبيلة من البدو الرُّحل كانت تسكن في شبه الجزيرة العربية، وكان أفرادها في مشاحنات دائمة بينهم وبين بعضهم، وبينهم وبين جيرانهم (تك 16: 12). وما أبعد ماشك وقيدار عن هيكل الله. والأغلب أن المرنم لا يقصد أنه سكن في ماشك في أقصى الشمال، ولا في قيدار في أقصى الجنوب، إنما هو يعبِّر عن حالةٍ من الاغتراب النفسي، وكأنه موجود في بلاد بعيدة يسكن بين من يضايقونه، وسط مجتمع وثني بعيد عن الله، يعبد الأصنام. وفي هذه البلاد البعيدة لم تكن للمرنم فرصة تقديم الذبائح لله، ولا العبادة في هيكله.

2 – هي غربة طويلة: «طال على نفسي سكنُها مع مبغضِ السلام. أنا سلام، وحينما أتكلم فهُم للحرب» (آيتا 6، 7). استمرت ويلات المرنم لأن الجيران الذين عاش وسطهم كانوا أهل حرب يبغضون السلام، بينما هو سلام، و«طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعَون» (مت 5: 9). وقد وصف المرنم نفسه بأنه صلاة (مز 109: 4)، فلم يكن سهلاً عليه، وهو سلام وصلاة، أن يحيا بين مبغضي السلام ومحبي الحرب. ولكي نتحاشى المرور بالآلام التي جازها المرنم يجب أن نطيع نصيحة الرسول بولس: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خِلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟ فإنكم أنتم هيكل الله الحي.. لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب، ولا تمسوا نجساً فأقبلكم، وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات.. فإذ لنا هذه المواعيد لنطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكمِّلين القداسة في خوف الله» (2كو 6: 14–7: 1).

ونقدم نصيحتين لكل مؤمن يقول: «أنا سلام، وحينما أتكلم فهم للحرب».

(أ) **ابتعِد جغرافياً:** «باعد رجلك عن الشر» (أم 4: 27). لا تجعل بينك وبين الأشرار علاقة مباشرة، ولا تذهب إلى مكان أو تشرع في عمل تعلم أن الله يرفض أن يكون معك فيه.. عندما حدثت مخاصمة بين رعاة مواشي لوط ورعاة مواشي إبراهيم، قال إبراهيم للوط: «لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رعاتي ورعاتك، لأننا نحن أخوان. أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً» (تك 13: 5–9). لكن إبراهيم لم يبتعد عن لوط بقلبه، فعندما أُخذ لوط مسبياً ذهب إبراهيم وراءه لينقذه (تك 14).

(ب) **احتمِل في صبر:** المحبة تصبر على كل شيء «لا تجازوا أحداً عن شر بشر، معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس.. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه.. لا يغلبنَّك الشر، بل أغلب الشر بالخير» (رو 12: 17–21).

إن كنت قد سلَّمت حياتك للرب، ثم ابتعدت وسكنت في أرض بعيدة، فضعُفت حياتك الروحية، وأصبحت تعاني من الغربة والمتاعب في وسط مبغضي السلام، فلتكن هذه المتاعب دافعاً لك للرجوع إلى الرب الذي يرد نفسك ويهديك إلى سبل البر. فهيا نرجع من الأرض البعيدة، من أرض الضعف والفتور الروحي إلى الله، ولنصعد إلى جبل الرب بالترنيم والهتاف.